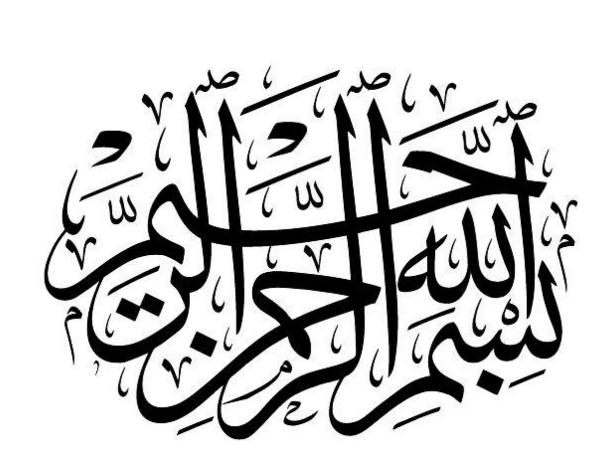

بسم الله الرحمن الرحيم

الطّبعة الأولى

عمان ـــ الأردن

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/١/٢٢٥)

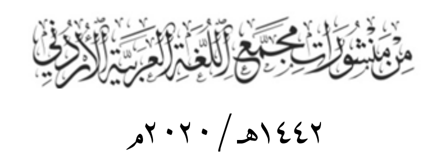
يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-8736-0-8



الموسم الثّقافيّ السابع والثلاثون

لمجمع اللُّغة العربيّة الأردنيّ



١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

لجنة الندوات والمحاضرات والإعلام

الموسم الثقافي السابع والثلاثون

الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، رئيساً   الدكتور جعفر عبابنة

الأستاذ الدكتور محمد عصفور   الأستاذ الدكتور محمود السرطاوي

الأستاذ الدكتور علي محافظة

الإشراف العام:

الأستاذ الدكتور محمد السعودي، الأمين العام للمجمع

الفهرس



كلمة رئيس المجمع في اليوم العالمي للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام النبيّ العربي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

مندوب صاحب السموّ الملكي الأمير الحسين بن عبدالله المعظم ولي العهد،

صاحب المعالي أ.د. باسم الطويسي وزير الثقافة.

أصحاب المعالي والعطوفة والسعادة،

الضيوف الكرام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، باسم أعضاء المجمع والعاملين فيه فأبدأ بالشكر الخالص لصاحب الجلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين لرعايته ودعمه للحركة الأكاديمية والعلمية والتعليمية والثقافية في الوطن العزيز، ولصاحب السمو الملكي وليّ العهد المعظم على تفضلّه بالرعاية الكريمة لهذا اليوم الطيّب من أيام اللغة العربية الشريفة والخالدة، وعلى مبادرته الأساسية (ض) في هذا السياق الكبير.

أيّها الحفل الكريم،

لكم الشكر على حضوركم هذا الصبّاح، وهذا يومٌ يطيب فيه التذكر في رحاب العربيّة وظلاله الوارفة...

العربيّة في يومٍ واحد من أيامها، وعلى مرأى من أعدائها وهمومها؛ أمّا الأعداء فهم الذين يختبئون خلف الاستبداد والاستعمار والفساد، لأنّها تعطّل لسان من يقول الصدق، ومن يحتج على الخوف ومصادرة الحريات ونشر الفساد، بل تعليم الحرية للمضطهدين...

وهم الذين يقفون أمام الأمية كأنها لا تعنيهم، وعلى مرأى من العاميات كأنّها إرث الآباء فقط، ولا ينظرون إلى عيوبهم، ليس في اللحن فقط، بل بالانحطاط إلى الهابط من الكلام، والبارد الغث من المعاني، والهروب إلى لغات أجنبية يظنّون أن بعض كلماتها تحميهم من خجل كان لا بد أن يعتريهم... وأعجب كيف لأحدنا أن يعلم الناس أن "يعرفوا أنفسهم"، أو "يكونوا" أنفسهم قبل أن يعلموهم لغتهم!!

يروي الكاتب الداغستاني الكبير رسول حمزاتوف في كتابه الرائع "داغستان بلدي"، أنه طاف بلاده كلّها يبحث في الثقافة الشعبية عن أشدّ الدعوات على الأبناء (وغيرهم) بين السيدات، حتى وصله صوت عجوز تدعو على جارتها: "حرم الله أبناءك مَنْ يعلّمهم لغتهم"..

... هل أقف هنا وأعيد الكلام!!!

الاستبداد، والاستعمار، والفساد، والأميّة، والعاميّة، ... وأضيف: الرغبات التي تأتي مع الرأسمالية الطفيلية، وقوى الاستهلاك، والبورجوازية التابعة، ووسائل التواصل التي هبط بعضها باللّغة، وسيطر عليها أنصاف المتعلمين، وغاب أهل الإعلام الوطني عنها، بل هبط الإعلام بدءاً من الإعلان، مروراً ببرامج الإذاعات ومحطات التلفزة، وصولاً إلى أهل الندوات والمحاضرات... وقبل هذا أهل التعليم والجامعات العربية التي لا تعلم بالعربية.. وحججهم في ذلك حجج الضعيف العاجز.

لقد أنجزنا في التعليم، وأخشى -كما قيل- أن نخسر الثقافة... وهنا لن نجد للقيم وعاءً يحفظها، ولا نسيجاً يجمعها، فقد صرنا مثل مقدمة "قصة

مدينتين" التي تعرفون "كان عصر النور وكان عصر الظلمة.."؛ وعدنا إلى التذكر، زمان غرناطي حزين فاجع، وآخر فلسطيني يبحث حتى اللحظة عن أمّة تعود إلى القدس منتصرة كما عادت في زمان صلاح الدين.

"سأضع سيفك في كفنك، وسيعرفك الله فأنت سيفه".

لماذا نبدو اليوم في انتظار مَن سيأتي ولا يأتي؟!

العربية في جوانحنا،

والمجمع واللجنة الوطنية أرواح لا تهدأ، وإنجازهما معروف، واليوم أعلن إطلاق "تطبيق امتحان الكفاية" على الأجهزة الذكية، ونحن مقدمون على:

- استكمال موسوعة لسان العرب الاقتصادي.
- استكمال دراسة العربية في الجامعات.
- إعادة حماية الشوارع في المدن من التلوث اللغوي.
- إعادة تعليم العربية للناطقين بغيرها على قواعد العربيّة السليمة، ووضعها تحت رقابة دقيقة، إذ سيُعلن قريباً عن افتتاح مركز لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، للسيطرة على ذلك لا بد من تشريع ونحن في حوار مع مجلس الوزراء على أن يكون المركز في المجمع أو في أي جامعة، حيث زادت المراكز على ٩٠ معظمها تعلم بالعامية وحوّلها الشباب في بعض الجامعات بين العامية والفصيحة وهذا غير مقبول، فالناس يأتون لتعلم اللغة العربية لكنها أصبحت للأسف تجارة رابحة!

- إنجاز مشروع "امتحان القياس"، و"بنك الأسئلة".
- إطلاق أول حاضنة عربيّة لرفع المحتوى العربي على الشابكة.
- ونرى في الأفق مبادرات من (المجمع واللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية ومبادرة (ض)) تخص العربية، ووعياً جديداً، وذلك كلّه يحتاج إلى إعادة النظر في التشريعات حتى نتمكن من الوصول إلى غاياتنا كما يليق بالوطن الأردني القومي أن يكون، وحتى نمتد في دروسنا ومنشوراتنا، ومسابقاتنا، والمعاجم الإلكترونية على الهاتف الخلوي إلى آخر فضاء وصلته العربية في العالم.

ومع هذا كلّه أسألكم وأنتم أهل المعرفة أن تقولوا للناس عندما يرون العربية بعيدة:

كيف اقتربت لأهلنا قبل الإسلام حتى صاغوا أعاجيبها لغة، ونحواً، وموسيقى قبل أن يكتب في هذه حرف في كتاب يعلّمها؟

وكيف أخذنا الدنيا من لحظة الغار العظيم: "اقرأ باسم ربك"، وبها أخذنا الدنيا عدلاً لا غلاباً، وكيف تألقت المعلقات حتى أنزلها القرآن بإعجازه من على أستار الكعبة؟ فقد كانت عند قومنا أصناماً أخرى لا يحق تجاوزها حتى نزل القرآن العظيم بالعربية، فصارت لغة أهل الأرض وأهل الجنّة.. وما من جنْسٍ أو عِرْقٍ أو بلد في العالم إلا ويرتفع فيه حضورها مع صوت الأذان: أن "الله أكبر الله أكبر".

قولوا لهم...

هل له من وسيط بين الأرض والسماء إلا هي.. منذ أن:

سرت بشائر بالهادي ومولده   في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

هل من سلام للشهداء من غير أن نقرأ في غيابهم: "السيف أصدق"، و"إذا الشعب يوماً أراد الحياة"، وصوت فيروز في "زهرة المدائن".

هل من عشق صوفي بغيرها، وهل من وجدٍ في التجليات الإبداعية إلّا بها.!!

يا ابن الفارض أنشد:

فرشتُ لها خدّي وطاء على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامي

ويا عروة أعِدْ:

هوى ناقتي خلفي وقدّامي الهوى وإنّي وإيّاها لمختلفانِ

هواي شآمي وترمي زمامها لبرق إذا لاح النجومُ يمانِ

واقرؤوا عليهم رائعة حسّان في الغساسنة:

يمشون في الحُلل المضاعف نسجُها مشي الجِمال إلى الجِمال البزّلِ

وتزور أبوابَ الملوك ركابنا وإذا نُحكَّمُ في البريةِ نعدلِ

وخذوها من صاحبكم المتنبي:

أبى خلق الدّنيا حبيباً تديمه فما طلبي منها حبيباً تردُّه

وإذا شئتم اقرؤوا له في جدّته:

هبيني أخذت الثأر فيك من العدى فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمّى

وما انسدّت الدنيا عليّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراكِ به أعمى

وقد عدنا كما رآنا في شعب بوان:

ولكــــن الفتـــــى العربـــــيّ فيهــــا غريبُ الوجــه واليــدِ واللســـان

هل أتابع درساً في الشعر أم أصده بامرئ القيس:

أغـــرّك منـــي أن حبّــك قـــاتلي ....

واقرأ له:

ولما بـــدت حـــوران والآل دونهـــا ....

هي لغتكم... آلاف الكتب في اللغة والتاريخ، وعلوم التراث والحـــديث، والفلسفة، والسياسة وأي علمٍ تريدونه عبر الأزمنة كلّها... إنه عزيـــزٌ علـــى الحصر.. فماذا نحن فاعلون لأمرين: ترجمة ما كتب الآخرون عنّا؟.

ونشر الذي ما يزال مخطوطاً من تراثنا؟.

تتزاحم الأفكار حتى صرت كما "خُراش" حين تكاثرت عليه الظباء:

"فما يدري خراش ما يصيد".

فهل لكم غيرها من وسيلة للتعبير، وأخص الذين انتقلـــوا مـــن الحـــديث بالعامية إلى الكتابة بها، فغضبت عليهم أمهّم العربيّة، فهم خارج سياقنا أشباحٌ ومجهولون.

فيا أيّها الكاتب والمثقف،

لا تسوّغ للناس هوان لغتهم عليهم، فقد ذبَحَنا المغول والصليبيون، وصولاً إلى سايكس- بيكو- وعصاباتهم الاستعمارية.

وحين أفقنا من الكابوس كنّا قد خسرنا قدرتنا على إعمال العقل، واستعادة المبادرة، والبحث عن مكان لنا تحت الشمس، ولكننا لم نوفق دائماً وظل بيننا من يسوّغ لأبي عبدالله الصغير التخلّي عن غرناطة، وقد كلّف كاتبه أبا عبدالله محمد العقيلي أن يعد رسالة تصف حاله واعتذاره، وبعث بها إلى سلطان فاس الشيخ الوطّاسي؛ وأشدّ ما فيها من قبح أن الكاتب وسيّده يقيمان اعتذارهما على سقوط بغداد للمغول، ويسوّغان سقوط غرناطة في معادل ذلك:

"... وإلا فتلك بغداد دار السلام، ومتبوأ الإسلام... قد نوزلت بالجيوش ونزلت، وزوّلت بالزحوف، وزلزلت، وتحيّفها الحيف، ودخلها كفّار التتار بالسيف...!!!

وقد غاب الصوت المذبوح في غرناطة، كما غاب قبله الكبد المتصدع في بغداد..

ظلّ في الهاجس أمران:

- نصٌّ عن المقاومة: صورة قرطاجنة أقدمه اهداءً إلى المقاومة التي تقرأ التاريخ بأي لغة ضد أي عدو للأرض والحرية والإنسان.
- والثاني: أن أمدّ الشكر إلى الذين يسعون من أجل عودة العربية إلى أهلها عزيزة كريمة: المعلم، والعالم، والطالب، والأكاديمي، والإعلامي، والعامل والفلاح والمقاتل؛ فقد حضر الزمان أمام عيوننا بصوت جديد.

"صهيل الخيول على السفح.. إمّا الصعودُ ، وإمّا الصعود".

العربية هي هويتنا، والشكر لأهلنا على امتـــداد أرض العربـــي، وأرض الإسلام وفي أي مكان يرتفع فيه من المآذن صوت عتيق يصلكم بسيدنا بـــلال بن رباح.... ولا أظن المعركة مستحيلة حتى تنتصر الأمة والعربية، وترفـــع رايات رسالتها في الدنيا التي ما نزال أهل الحق في الدفاع عن الضعفاء مـــن أهلها.

الشكر لمراكز البحث، ومراكز تعليم العربية، أمّا سائر الـــذين يســـمعون نداءنا وصوت خيبتنا أحياناً ويصمّون آذانهم وهـــم فـــي معـــاداتهم للعربيـــة سادرون .... فنقول: لنا كتابنا ولغتنا ولكم ما يظلّ من غبار أزقـــة التـــاريخ: خيبةُ وضياع.

وظلّ في الخاطر بيتان من الشعر لقيس:

وأجهشـــت للتوبـــاد حـــين رأيتـــه   وكبّر للرحمـــــــن حـــين رآنـــي

وأذريت دمع العـــين لمّـــا عرفتـــه   ونادى فـــأعلى صـــوته ودعـــاني

اختلاف النـــهار والليل يُنسي

أعنْدكم نبـــأ من أهل أندلسٍ؟!

وقـــــوفاً أيّها الأردنيـــــون،

ولا توزّعوا لحم فقراء الوطن على ألـــف جمعيـــة (N.G.O) مرتبطـــة بالخارج لتتاجر بفقرنا وقيمنا ولغتنا، وخجل فقرائنا، وجوع أطفالنـــا ونحـــن الذين:

- "تحسبهم أغنياء من التعفف".
- "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة".
- "ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً".

جئنا لنحتفل خارج الضجيج الموجود تماماً حول المنطقة ومستقبلها، فنحن نعرف مستقبل دولتنا ووطنا وكيف ندافع عنه، ولسنا أغراراً في ذلك ولم نبدأ يوم أمس.

على الذين يثيرون الخوف ويتخيلون أننا فقط جزء من صفقة ستمر في هذه المنطقة، فنحن لسنا جزءاً من صفقة لأحد، وقد ولّى زمن سايكس بيكو، وأعتقد أن الأردنيين سيكسرون في المراحل المقبلة كثيراً مما يحاصر الناس.

ليخجل مَن يتحوّل ضد نفسه ويدمر نفسه بالإشاعات وتضخيم الأحداث والحديث بشكل متواصل عن الفساد.. إذا كان أحد يريد أن يفوز بالانتخابات فبغير هذه الطريقة، تشوهون الوطن لكي تفوزوا!.

هنالك من يهوون السير إلى الخلف، فاتركوهم يسيرون كما يشاؤون، فهذا البلد غير قابل للتجزئة لا على السياسيين ولا على الحزبيين ولا على منظمات المجتمع المدني ولا على الجمعيات ولا على الدوائر ولا على الوزراء ولا على الرؤساء، فهذا وطن كامل ودولة كاملة، لا تحتاج بعد هذا العمر إلى كثير من التفكير (لماذا لا نهتم باللغة العربية؟)، لأننا نريد من هنا أيضاً، أن نصنع معجزة الوطن، صنعنا معجزة التعليم ونريد أن نصنع أخرى في المجامع وتعريب اللغة العربية في كل مكان.

أقول سلامٌ للشهداء

سلامٌ لأهل العربيّة وهم الصادقون

"الصادقون يتامى في مدينتنا"

وسلامٌ لكم جميعاً وكل عام وأنتم بخير

اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ورهانات المستقبل

الأستاذ الدكتور الخضر عبد الباقي محمد
مدير المركز النيجيري للبحوث العربية

أ

المحاور الرئيسة للمحاضرة:

- تمهيد.
- المؤسسات المعنية باللغة العربية.
- المثقفون المستعربون الأفارقة.
- النتاج العلمي والفكري بالعربية في أفريقيا.
- العربية والتفاعلات المجمعية في أفريقيا.
- الرهانات المستقبلية لتحسين وضعية العربية في أفريقيا.

التمهيد:

تسارعت معدلات الاهتمام بالتراث الثقافي للشعوب على خلفية تفاقم المضاعفات السلبية للعولمة، وأصبح خط الدفاع الأول لحماية التراث العربي الإسلامي الحفاظ على اللغة العربية وتجديد رسالتها في الحاضر والمستقبل والعناية بمكتسباتها الحضارية خارج البلاد العربية، وتأتي أفريقيا كأبرز المناطق التي شهدت حضوراً ملموساً ومكثّفاً للغة العربية وثقافتها الإسلامية حتى أصبحت تمثّل عنصراً مهماً في حياة الشعوب الأفريقية المسلمة، وغدا للتعليم العربي قيمة اجتماعية كبيرة ودلالة ثقافية عميقة في الساحة الأفريقية.

ولأنّ اللغة العربية هي وعاء الثقافة الإسلامية وهي الأداة المثلى لمعرفة مبادئ الدين الحنيف وهي اللغة الوحيدة في العالم التي ترتبط بالدين ارتباطاً لا انفصام له، وبسبب هذا الارتباط العضوي بين الإسلام وبين اللغة العربية، كان العمل من أجل نشر اللغة العربية، والتمكين لها، وتدعيم مكانتها، وتوسيع نطاق تعليمها في البلدان غير العربية جزءاً لا يتجزأ من خدمة الإسلام عقيدة وثقافة وحضارة؛ لذا تمثّل اللغة العربية العروة الوثقى، والوحدة المعيارية التي تجمع بين الشعوب العربية والإسلامية والتي شاركت كل منهما في ازدهار حضارته، وبهذا المعني والاعتبار، أصبح الوفاق العربي والتضامن الإسلامي، يرتكزان بشكل أساسي على هذا الأساس المتين؛ ومن هنا تبدو الأهمية الكبرى لتدعيم مكانة اللغة العربية والعمل على نشرها وتعليمها لغير الناطقين بها من الشعوب الإسلامية، لأنّ في ذلك حماية للأمن الثقافي الحضاري للأمتين العربية والإسلامية من خلال هذه الرؤية، يتأكد لنا

أنّ اللغة العربية تمثّل لنا قضية وجود، وقاعدة كيان، ودعامة أساسية للحركة والنشاط.

ومن مؤشرات الاهتمام ودلائل يقظة المسؤولين في المملكة الأردنية الهاشمية وعلى رأسها جلالة الملك المعظم عبد بن الحسين –حفظه الله – أن تأتي دعوة كريمة مجمع اللغة العربية الأردني بقيادة أمينه العام معالي الأستاذ الدكتور خالد الكركي وفقه الله كجزء من مسؤولية المجمع الوطنية والحضارية واختصاصاتها الثقافية للحديث عن "اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ورهانات المستقبل" وفي هذا المقام نودّ الإشارة والتأكيد على أهمية إثارة هذه الموضوعات والقضايا في زيادة تنمية الوعي الجماهيري بالأوضاع الثقافية في أفريقيا، فالوعي بالواقع وتداعياته وأولوياته ليس ترفاً فكرياً أو تكثّراً معرفياً بل هو ضرورة في غاية الأهمية والخطورة، وصناعة الوعي عملية شاقة تتطلب عملاً جادّا دؤوباً لا يقوم به إلاّ ذوو الرأي والسداد من رواد الأمة.

مقدمة منهجية للمحاضرة:

وتهدف هذه المحاضرة إلى تسليط الضوء على واقع اللغة والثقافة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء، وتنطلق من سؤال إشكالي مفاده: هل اللغة العربية في البلدان الأفريقية في حالة صيرورة تقدمية أم لا؟ وما الأدلة على تلك الصيرورة سواء في حالة السلب أو الإيجاب؟ وتعتمد هذه الورقة العلمية مجموعة من المداخل المنهجية في التناول والمعالجة منها المقاربة التاريخية والمقاربة المسحية الميدانية وكذلك المقاربة البراغماتية الواقعية بالإضافة للمقاربات الاستراتيجية في استشراف المنظور المستقبلي للغة العربية في

بلدان جنوب الصحراء في من أفريقيا، ومن القضايا والمحاور الرئيسة التـــي ستتطرق لها هذه المحاضرة:

- المؤسسات المعنية باللغة العربية.
- المستعربون (الأفارقة).
- النتاج العلمي والفكري بالعربية في أفريقيا.
- العربية والتفاعلات المجتمعية في أفريقيا.
- الرهانات المستقبلية لتحسين وضعية العربية في أفريقيا.

الثقافة واللغة وقفة مع مصطلحات المحاضرة:

يشير مصطلح الثقافة إلى المجموع الكلي من الأيقونات والمعرفات المشكلة للهوية والكينونة وفي حالة الحديث عن ثقافة أمة فيعني ذلك السمات الماديـــة والمعنوية الروحية والفكرية بما في ذلك القيم والعادات، والتقاليد والمعـــارف والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكيـــر والإبـــداع الجمـــالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطرز الحيـــاة، وكذلك التطلعات .وتعدّ اللغة واحدة من محددات الهوية ولا يخفى ما بين اللُّغة والثقافة من رباط حميم، ذلك أنَّنا لا نتصورَّ لغةً ما بالمفهوم الـــذي ذَكرْنـــا لا تنتج ثقافة، أيًّا كانت اللُّغة، وأيًّا كانت الثقافة، كما أنَّنـــا لا نتصـــورَّ ثقافـــة لا تعتمد في جانب أساس منها على وعاءٍ لُغويٍّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها، إذًا هما دائرتان متداخلتانِ لا يُمكن أن نُخَلِّص إحداهما من الأخرى، نقول ذلك دونَ أن ندخل في تعريفاتِ الثقافة وتوجُّهاتها، فليس هذا موطنَه، إذ ما يهمنـــا أن نؤكِّد على نقطة مهمَّة؛ هي: أنَّه إذا كانت اللُّغة هي الفِكرَ الذي يتفاعل مـــع الأشياء، ويقف منها أو معها مواقفَ محدَّدة، فإنَّ الثقافة هي أيضًا ذلك الشيء،

أو تلك الأشياء المتشابكة، وغير الملموسة التي تُملي عليه طرائقُه في التعامل مع الأشياء، وتحدِّد استجاباتِه تُجاهها، نحن إذًا أمام وجهين لشيءٍ واحد، قد تكون الثقافة أعمَّ، إذِ اللُّغة عنصر مهمٌّ للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنَّ للثقافة دورَها الخطير في التأثير في اللُّغة باعتبارها فكرًا، واللغة والثقافة معًا ليستَا نابعتَين من داخل الإنسان، أو ليستَا فرديَّتين؛ لكنَّهما جزءٌ من حراك الوسط الذي يعيشانِ فيه (١).

وفي هذا السياق نستخدم مصطلح الثقافة العربية بمعنى اللغة العربية والمستعرب من لديه القدرة للاعتماد على اللغة العربية بشكل رئيسي في معظم التعاملات خصوصاً في مجال تلقي المعلومات والتداول والاتصال والتواصل.

كلمة أفريقيا: نقصد بها الدول الأفريقية جنوب الصحراء ويخرج بذلك كل الدول العربية الواقعة في منطقة أفريقيا والتي تبنت العربية نظاماً ثقافياً، أو انضمّت تحت مؤسسة العمل العربي الرسمي (الجامعة العربية) ويجب أن نشير في هذا الصدد إلى أننا لا نؤيد الجغرافيا العنصرية لأفريقيا، التي فصلت بين شطري القارة فصلاً تعسفياً، ونعارض بشدة التفسير العرقي للثقافة والتفسير الجغرافي المجرّد، فمصطلحات" "أفريقيا السوداء" و"أفريقيا الزنجية" أو " أفريقيا غير الإسلامية" كلها مصطلحات قاصرة وغير دقيقة ارتبطت نشأتها بأغراض سياسية ودوافع إمبريالية استعمارية. ولكل أمة ثقافة معينة تمتاز بها عن غيرها من الأمم، وثقافة كل أمة تقوم على القيم السائدة في تلك الأمة، وهي في العادة وثيقة الصلة بعقيدتها وفكرها، وكذلك سلوكها ونمط حياتها، ولما كان الإسلام هو الدين الذي يعتنقه غالبية العرب فإن القيم السائدة على الثقافة العربية هي القيم الإسلامية، كما أننا لا نغفل من أن بعض

الدول الإسلامية غير العربية تنبثق أسسها من الإسلام، ولعلّ هذا المبدأ ما جعل أبناء هذه الدول الإسلامية أن يقبلوا بشغف لتعلّم اللغة العربية ومعرفة مكنوناتها، لذلك تعتبر العروبة والإسلام وجهين لعملة واحدة في التصور السائد لدى الغالبية من الأفارقة فكل ما له علاقة بالعربية وثقافتها أو بالعرب عموماً فإنّ له صلة بالإسلام وبالمسلمين، وعلى هذه الخلفية أخذت الثقافة العربية في أطوارها وفي مختلف أبعادها طابعاً دينياً أضفى صبغة القداسة عليها عند المسلمين الأفارقة وفرض عليها سياجاً وحدوداً طائفية فاصلة لدى غير المسلمين من الأفارقة، ولعل الجدل المثار وانتقاد النيجيريين المسيحيين لوجود الحرف العربي على العملة المحلية لكونه رمزاً دينياً لدى المسلمين واعتبروا ذلك تحيزاً لصالح ثقافة المواطنين المسلمين على غيرهم.[٢]

مدخل تاريخي عن الارتباط الحضاري بين اللغة العربية وأفريقيا

اتسمت الثقافة الإسلامية في معظم البلاد الأفريقية بأنها عربية في طابعها، فقد أقبلت الشعوب الأفريقية عليها، ونهلت منها حتى إنّ الذاكرة المركزية لكثير من دول غرب أفريقيا تعتمد بدرجة كبيرة فيما وثّق منها على اللغة العربية، خلال فترة المدّ الإسلامي وانتشار ثقافته ذات الطابع المغربي، لأنّ أكثر الهجرات العربية جاء من بلاد المغرب العربي، فالمذهب المالكي كان من بين ملامح تجذر الثقافة العربية الإسلامية وتمكنها في تلك المناطق، ويمكن أن ندلّل على ذلك، خلال ثلاثة مظاهر أساسية[٣].

١. شخوص أفريقية مؤثرة في الحياة الثقافية العربية: هناك علماء وفقهاء ومفكرون أفارقة، ساهموا في المسيرة الحضارية للثقافة العربية، فأصبحوا من روادها وأعلامها، مثل: أحمد بابا التمبكتي (ت١٦٢٧هـ) الفقيه واسع الثقافة ألف الكثير من الكتب، وذيّل لابن فرحون في كتابه "نيل الابتهاج" والعلامة عبد الرحمن السعدي، المؤرخ الكبير والذي ألف كتابه

"تاريخ السعدي" وأشار فيه إلى دلائل وشواهد تؤكد وجود مجتمع ثقافي عربي في غرب أفريقيا يحاكي المجتمعات العربية في شمال أفريقيا، كما ترجم لأكثر من مائة عالم وشاعر ومؤرخ وفقيه أفريقي، عبّروا عن فكرهم بالعربية.

٢. مدن ومراكز فكرية ثقافية: هناك مدن ومراكز ثقافية عريقة للعربية في أفريقيا، والتي اشتهرت بالعلم والفكر، منها: (تمبكتو، وأودغست، وأغدس)، والتي تعلّم فيها (ابن فودي)، و(كاتشينا)، ومن علمائها محمد الكتشناوي الذي امتدحه الجبرتي، وجاندوت، ومن علمائها البكري وزارها الإمام العلامة السيوطي، وكانم، غيرها.

٣. ممالك وإمبراطوريات إسلامية: هناك عدة ممالك ودول وإمبراطوريات أفريقية ذات المرجعية الثقافية العربية، فكراً ونهجاً عملياً، مثل غانا، مالي، صنغي، برنو، كانم، صكوتو.

السمات العامة للغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء:

من خلال رصدنا ومتابعتنا للأوضاع العامة في المجتمعات الأفريقية وطبيعة الظروف التي تعيشها الثقافة العربية وأصحابها والأبعاد الأساسية التي ترتبط بها، استخلصنا بعض النقاط التي تمثّل قاسماً مشتركاً لتلك الوضعية في أكثر البلدان الأفريقية، وتلخصت تلك السمات المستوحاة في الآتي:

أولها: أنّ اللغة العربية تعتبر اللغة العربية ثقافة خارج السياق المحلي العام فلا يوجد للعربية وجود في الفضاء الثقافي العام في تلك البلدان مستقلّ في المحافل الوطنية الأفريقية (منتديات صالونات أندية).

ثانيها: أنها ثقافة خارج الأنساق والنظام الرسمي فهي في أغلب البلاد الأفريقية ثقافة خارج الأنساق والمنظومة السياسية، حيث لا وجود لها داخل الأروقة والمؤسسات الرسمية الحكومية، (تحرير معروض طلب في مرفق أو وزارة ما).

ثالثها: أنها ثقافة الأقلية من النخبة بسبب أنّ المتحدثين بها والمنتمين إليها ثقافة وفكراً يعتبرون أقلية عددية بالنسبة إلى بقية السكان، حيث نجدها محصورة في فضاء مستقلّ (منتديات صالونات أندية).

رابعها: أنها ثقافة دينية إسلامية: حيث ترتبط الثقافة العربية في السياق الأفريقي وبشكل مطلق بالإسلام، حيث إنّها ثقافة دينية إسلامية، ذات طابع روحاني، حيث إنّ كلّ من ينتمي للثقافة العربية يملك حصيلة وفيرة في العلوم الشرعية، وله ارتباط قوي بعالم روحانية القرآن المنزل بالعربية والذي يتيح لصاحبها التعامل مع قوى غيبية سلباً وإيجاباً.

المحور الأول

واقع المؤسسات المعنية باللغة العربية والإسلامية في أفريقيا

المدارس العربية: الإحصاءات والأرقام هناك امتداد وتوسع نسبيان للمدارس العربية في أفريقيا، فالمدّ الإسلامي واستمرار الدعوة إليه، عامل كبير ومؤثر لانتشار الحركة الثقافية العربية والمتمثلة في المدارس، غير أنه لا توجد إحصاءات وأرقام ذات مصداقية كبيرة بتلك المدارس، للأسباب التي سبقت الإشارة إليها، (كونها لا تتبع المؤسسات الرسمية للدولة) لذلك؛ فالمتاح من المعلومات والأرقام لا تخرج عن كونها تقديرات واجتهادات تقريبية، ويمكن تقدير المدارس العربية ما بين أربعة وخمسة ملايين مدرسة في بلدان أفريقيا جنوب الصحراء متوزعة الانتماء وذلك وفقاً للآتي (المدارس الأهلية/ المدارس التابعة للمنظمات والجمعيات المحلية/ مدارس المنظمات الإسلامية العربية الخيرية/المدارس النوعية/ مدارس تحفيظ القرآن (الخلاوي) وهناك كليات خاصة وأهلية وأخرى تتبع المنظمات (كلية الإمام مالك – نيجيريا/ كلية المعلمين–مباسا–تنزانيا/ كلية التربية–زنجبار/ كلية الدعوة الإسلامية بنين/ تابعة للحكومة الليبية–كليات حكومية وعامة: كليات التربية الفنية– نيجيريا.

من ملامح واقع المدارس العربية في أفريقيا:

١. مجانية تعليم العربية (أو شبه المجاني) لضمان الإقبال عليها – في ظل الأوضاع العامة للعربية والمستعربين– وقد جلب ذلك تداعيات سيئة للغاية، فمجانية التعليم العربي كان لها تأثيرها على تواضع أجور المدرسين، ونتيجة لذلك أضعفت عطاءات هؤلاء المدرسين وتسبب في ظهور مشكلات عديدة بين مؤسسي المدارس العربية، أهمها أنهم يعتمدون في تسديد الرواتب على

الهيئات الخيرية وطرق أبواب الأثرياء على رغم ما في ذلك من مشقة ومذلة وسلبيات.

٢. عدم الاعتراف الحكومي بالمدارس العربية – ومع الجهد المضني الذي يبذله أصحاب المدارس العربية، فإنّ العدد الكبير منها ليس معترفا به رسميًّا من السلطات الحكومية في معظم الأقطار الأفريقية، وهذا بالطبع له انعكاسات خطيرة على المؤسسات التعليمية وأصحابها وخريجيها، ورغم أنّ هذا الوضع لم يكن مرضيًا لأصحاب المدارس العربية إلاّ أنّ الظروف القاهرة أجبرتهم على الرضوخ له، وفي مقدمة ذلك مخاوفهم من السيطرة الحكومية الكاملة والتي من شأنها المساس برسالتها وأهدافها الإسلامية، إضافة لعدم قدرتهم على الوفاء بالمتطلبات الرسمية للاعتراف الحكومي الذي يستلزم تكاليف باهظة.

٣. قلة المدارس العربية مقارنة بغيرها وارتفاع نسبة الاحتياج إليها، في الأوساط المحلية، فالدوافع الدينية والحرص على الأداء المتطلبات الإسلامية والتي لا بدّ من مرشد وعالم فقيه في الدين وعالي الثقافة العربية كلها من حيثيات تزايد الاحتياج إلى تلك المدارس العربية الإسلامية.

ومن النقاط الإيجابية للمدارس في بعض المناطق أنه توجد هناك إدارات خاصة بالمدارس العربية في بعض البلاد (النيجر/ شمال نيجيريا) ويتم الإشراف من خلالها على المدارس العربية الأهلية، وتتميز بجدية سياسة تنظيم المدارس في النيجر وتقسيم الساعات مناصفة بين العربية والفرنسية وكذلك تدريس بعض المواد غير الدينية بالعربية علاوة على تقديم معونات مالية للمدارس ولو كانت بشروط.

المدارس العربية والإشكالات التربوية:

يمكن تلخيصها في عدم وجود مناهج ثابتة/ فقدان عناصر المنهج التربوي السليم/ عدم توفر الكتب والمقررات المدرسية/ ضعف المنهج بالإضافة لصعوبته لأسباب كثيرة لأنه مستورد/ مفروض/ بعيد الصلة بالمجتمع/ عدم توفر الإشراف التربوي المنظم/ ضعف الإعداد للغوي للطلاب/ عدم الاستقرار الوظيفي للمدرسين/ عدم وجود مقاييس للجودة العلمية للتعليم العربي وهناك مشاكل تتعلق بخريجي المدارس العربية مثل: مشكلة مواصلة الدراسة الجامعية/عدم توفر فرص العمل، / وانتشار البطالة بشكل ملف للنظر ومزعج للأوضاع العامة، بسبب ما أدى إليه من مظاهر سلبية على سمعة طلبة العلوم الشرعية وأصحاب الثقافة العربية عامة (ظاهرة الشيوخ الروحيون/ المشعوذون/ الدجالون)[٤].

المحور الثاني

المستعربون الأفارقة والتفاعلات المجتمعية

لم يتوفر حتى الآن إحصاء دقيق أو غير دقيق عن المستعربين الأفارقــة، وذلك على خلفية عدة أسباب وعوامل من بينها:

الإشكالات السياسية: فالمخاوف السياسية قائمة من أنّ تزايد الاهتمام بهذا الاتجاه من شأنه أن يؤدي إلى تغيير المعادلة القائمة، ويستردعي معه نظــرة جيبولوتيكية توسعية من الخارج، لكن هذا الاحتمال بعيد التحقق.

الإشكالات المؤسسية: عدم وجود مؤسسات معنية بالموضــوع أساســاً سواء من القطاع الحكومي أو الخاص،

الإشكالات الثقافية: والتي ترتبط بمخاوف النخبة المثقفة، أصحاب النفــوذ والمصالح من أن توفير أي معلومات من هذا القبيل من شأنه فــتح المجــال لجهود استعادة العربية لمكانتها المسلوبة في إطار (صراع وحرب الثقافات).

الإشكالية الدينية: حيث تتزايد المخاوف من أن يثيــر الاهتمــام بهــذا الجانب نعرات دينية طائفية بين المسلمين والمسيحيين.

تحديات تواجه المستعربين الأفارقة:

هناك عدة تحديات تواجه المثقفين باللغة العربية في أفريقيا، ومنهــا: مثــل التغييب المتعمد لهم في الساحة الثقافية الفكرية وقلة الكوادر من التخصصات العلمية (أطباء- ممرضون- فنيون).

ومنها ضعف المستوى العلمي والثقافي المؤهل لانخراط في العمل العــام وتنامي تداعيات ظاهرة الازدواج اللغوي التي تضعف بل تقضي على العربية

مع مرور الزمن ومخانقة الأنغلفونية والفرنكفونية للعربية، وهنــاك التحــدي الاقتصادي وهو تواضع المستوى الاقتصادي لهؤلاء المثقفين في مجتمعاتهم، وإشكالية مواصلة الدراسة الجامعية لخريجي المدارس العربية والتي لا تتوفر بالسهولة في معظم البلدان الأفريقية.

المستعربون الأفارقة وخيارات النهوض والانعتاق:

واجه المثقفون بالعربية في أفريقيا خلال تاريخهم الحديث مهمات صــعبة، هي مسؤولية الانعتاق من الهيمنة والغزو الثقافي الغربي الاســتعماري، وقــد شكل خيار المواجهة الإطار العام للعمل منذ سقوط الإمبراطوريات الأفريقيــة الإسلامية ذات المرجعية الثقافية العربية، وتطور هذا العمل خلال مــا يزيــد عن قرن ونصف، وحتى مع قيام الدولة الوطنية الحديثة لــم يتغيــر الوضــع بالنسبة لهذه الوضعية، فقد برز في هذا الشأن طروحات وأفكار تمثّل تيــارات فكرية مختلفة (المحافظ/ الليبرالي/ الإصلاحي) ومن بين القضايا ذات الطبيعة الجدلية ما يلي: تبني فكر الحداثة الغربية فمع طرح فكر الحداثــة وتطــوير المؤسسات المعنية بالثقافة (المدارس العربية) ظهــرت ثلاثــة اتجاهــات أو تيارات فكرية بشأن هذا الفكر: تيار محافظ يتمسك بالشكل التقليــدي القــديم المستقلّ بذاته، ومكوّناته عن السلطات والغرب فكراً ونهجاً، ويعلّقون الآمــال على السياسة التربوية والعمل الثقافي الفكري.

وتيار يدعم بقوة الدعوة إلى تحديث مؤسسات الثقافــة العربيــة وعقلنــة مظاهر الحياة العامة في المدارس العربية، ويرى أنّ الشكل التقليدي لا يساعد

سوى على مزيد من التهميش وتيار ثالث هو توفيقي يرى ضرورة دمج القديم مع الحديث الثقافة العربية مع الثقافة الغربية(٥).

المجتمع الأفريقي والنظرة للمستعربين:

تباينت طبيعة النظرة إلى المستعربين الأفارقة، وذلك نظراً لتباين وتعدد مواقف السلطات الرسمية، ولخصوصية الوضع الداخلي لكل بلد، فهناك مجتمع تسوده نظرة إيجابية، وأخرى سلبية، هناك نظرة عادية وطبيعية للمؤسسات العربية (المدارس) كبقية المؤسسات التعليمية، حيث تتبع وزارات التربية والتعليم، إذا استوفت الشروط الخاصة بالانضمام (مثل الدول الأغلفونية/ نيجيريا، غانا) وغيرهما، وهناك نظرة تخوف وريبة، حيث تخضع تلك المدارس لمراقبات أمنية، فالعلاقة تخضع لمنطلقات أمنية بحتة، كما هو الحال في بعض البلدان الأفريقية الفرنكفونية، مثل (مالي) التي تتبع المدارس العربية لوزارة الداخلية، فيما يتعلق بالناحية العملية الوظيفية، فنهاك رفض مطلق لتوظيف المستعربين، بدعوى أنهم لا ينتمون لثقافة البلد، كما هو الحال في بعض دول المجموعة الفرنكفونية بنين وغيرها، وفي المقابل يحظى المستعربون بالترحيب والتوظيف في البلاد الأنغلفونية مع مصادفة الحظ، ومن المثير للاستغراب أن تطلب بعض الجامعات الأفريقية من خريجي الجامعات العربية عند الرغبة في مواصلة الدراسات العليا لديها الشروط المطلوبة من طلاب الثانوية الحكومية العامة، للتقليل والتنقيص من شأنهم!! وفي الأوساط الاجتماعية هناك تفاعل متبادل بين المجتمع والمستعربين الأفارقة، غير أنّ طبيعة الخاصية الدينية للعربية وثقافتها والمتمثلة في الإسلام، قد ألقى بظلالها على ذلك، فمعظم أوجه التفاعل الاجتماعي في

غالبيته يأتي من مداخل الاستخدامات الاجتماعية للــدين الإســلامي لهــؤلاء الناس، (الإمامة/ الفتوى/ التوجيه والإرشاد الديني) بالإضافة إلى اســتخدامهم في جلب الأعمال الروحانية للحصانة من الأرواح الشــريرة، الأمــر الــذي تشوهت معه سمعة الكثير منهم وروّج له خصومهم للضرب علــى أوتــاره، فهم" أناس فاشلون لا يتعلمون سوي الصلاة والصوم والدين وأعمال الســحر والشعوذة والدجل على الناس" وأما الأوساط الثقافية فالغالــب علــى نظــرة الأوساط الثقافية للمستعربين هو الطابع السلبي، فهم يعيشــون حالــة تغييــب متعمد وإقصاء تام من دائرة الاهتمام والاعتبار، فهم ليسوا مثقفين ولا أنصاف مثقفين، طالما لا يعرفون اللغة الأجنبية السائدة في المجتمع، بل هم في بعض الأوقات ينعتون بنصف إنسان؛ لأنهم لا يرون الواقع إلا من خــلال عيــون الموتى!! وهناك تغييب دور النخبة المثقفة من رواد الثقافة العربية وتمثل هذه الظاهرة واحدة من الإشكالات والتحديات الخطيرة، حيث غيّبت أدوار الكثيــر من النخبة والصفوة من المستعربين داخل الجماعة الإسلامية، بسبب انتمــائهم لمدارس ومشايخ وعلماء محليين، وساد بذلك نوع من الجمود الفكري، يفرض فيه الخضوع لتلك المدارس والمشايخ ويرغم الناس على التخلي عــن النقــد الاجتماعي والعلمي، وسادت الســاحة الفكريــة ثقافــة الاتبــاع التبريــري، والتضييق على النقد الموضوعي[٦].

المحور الثالث

واقع الإنتاج الثقافي الفكري الأفريقي بالعربية:

يمكن أن نلخص هذا واقع هذا الإنتاج في: اقتصار معظم الإنتاج في مجال العلوم الدينية، وهذا هو الطابع الغالب على معظم كتابات المستعربين، والسبب يعود لطبيعة العلاقة بين الإسلام وانتشار ثقافته في المنطقة، كما يلاحظ غلبة النزعة اللغوية والاتجاه صوب علومها والإنتاج الأدبي الشعر تحديداً، نظراً للارتباط الشديد بالتراث العربي القديم، وكذلك ضآلة واضحة في مجال الإنتاج الفكري الفلسفي، حيث لم يكن يحظى باهتمام متواز مثل الأدب وعلوم اللغة، ومن الملاحظ عليه تواضع المستوى العلمي للإنتاج الموجود وعدم وجود إنتاج جماهيري أفريقي بالعربية وعدم انتشار الإنتاج الفكري القليل الموجود، وما زال الجانب الأكبر من النتاج الفكري والعلمي للمستعربين الأفارقة يغلب عليه الاتجاه التقليدي القديم، وفي محاولة أولية لتحديد الأطر العامة لاتجاهات البحوث والرسائل الجامعية لأعرق قسم اللغة العربية في نيجيريا بجامعة عثمان بن فودي، وجدنا أنّ حوالي ٤٠% من البحوث كانت تدخل ضمن علوم اللغة وتاريخ التراث العربي في تلك المجتمعات المحلية [٧].

النتاج العلمي والثقافي بالعربية في أفريقيا من الجمود إلى التطور:

شهدت الثقافة العربية حالة من التحسن والتنامي في السنوات الأخيرة، بعد عقود عجاف من الجمود والركود الدائمين، وقد توقفت الحياة الثقافية العربية في أفريقيا بعد سلسلة ضربات قوية تلقتها من الهجمة الاستعمارية والاحتلال الغربي لها، ومعلوم أن الحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة

عناصرها المتمثلة في العمران والعلوم والفنون والأنساق الاجتماعية والثقافية بشكل عام، فقد استمرت حالة الجمود تلك إلى أن هُيئت لها فرص الانتعاش والحيوية مجدداً، وتبجست نفحات وعيون عذبة مكنت أصحابها المستعربين من التذوق والتوسع في الإبداع والتأليف والنشر بالعربية في فنون الثقافة والفكر والأدب. وقد دبّ الجمود في المشهد الثقافي العربي في بلدان غرب أفريقيا بعد أن تعرض التراث العربي الأفريقي الضخم إلى أكثر من كارثة، عبر العصور التاريخية المختلفة، بداية بالتدمير الذي تعرض له التراث الثقافي العربي الأفريقي في القرن العاشر الهجري، وكانت الكارثة الكبرى التي حلت بالتراث العلمي ومصادر الثقافة العربية في المنطقة تمثلت في الهجوم الوحشي من القوات الاستعمارية الأوروبية التي داهمت ودمرت المدن والإمبراطوريات الإسلامية الزاهرة في غرب أفريقيا، وقضت على الأخضر واليابس من تلك الآثار، فمن آثارها الخبيثة المسخ الثقافي والغزو الفكري الذي تداعياته على القارة في تصاعد مستمر، سواء على الحريات العامة أو المعتقدات والمبادئ والأخلاق، ومحاولات دائمة للتعدي على الوعي الجماعي لشعوبها عن طريق استخدام منطق التعامل النفسي معها، وبانتهاكات مستمرة لخصوصياتها الحضارية، الأمر الذي تمخض عنه حالة الوهن المعنوي والعجز المادي المتمثلين في الشعور بالدونية وارتضاء حالة الاستضعاف، هذا ما فعله الاستعمار الغربي الذي مهد للتغريب والاختراق الثقافي فيما يتعلق بالتشكيل الفكري لأبناء القارة ومقوماتهم المعنوية المرتكزة على الإسلام وثقافته العربية، الأمر الذي ألحق الضعف بواقع منظومة المسيرة الحضارية للإسلام في أفريقيا وبالتحديد الثقافة العربية وروادها، وقد كان مثل التهميش وعدم الاعتراف بالمثقفين بالعربية من الأفارقة عاملاً ضاغطاً على

معنوياتهم وبطبيعة الحال على حركة الإبداع والتـــأليف بالعربيـــة، وكـــذلك التضييق على وسائل التواصل مع الحركة الثقافية في البلدان العربية، وبالتالي عدم القدرة على مواكبة تطورات المشهد الثقافي فيها. كما يـــذكر فـــي هـــذا السياق عدم وجود الوسائل الفنية المعينة علـــى نشـــر الكتابـــات والمؤلفـــات للمستعربين الأفارقة من قبل المطابع ودور النشر، تلك كلها عوامل ســـاعدت على استمرار حالة الجمود والركود للمشهد الثقافي العربي في أفريقيا.

وقد ظهرت بوادر إيجابية في الأفق تحرك معها المشهد الثقافي العربـــي تحديداً منذ مطلع الألفية الجديدة على خلفية تطورات داخلية وأخرى خارجية، تمثلت العوامل الداخلية في إنشاء جامعات أهلية من ناحية، وتغيـــر مـــوازين القوى في عدد من البلدان الأفريقية، بصعود تيار الإسلام السياسي في بعـــض دولها من ناحية أخرى، مما انعكس إيجابياً على وضعية المستعربين وحالـــة الثقافة العربية بشكل أخص، فعلى سبيل المثال صعود نجومية كوادر أفريقيـــة من المنتمين للثقافة العربية بتوليهم مناصب قيادية فـــي الجامعـــات وغيرهـــا الأمر الذي أفسح المجال أمام حركة ثقافية فكرية نشطة باللغة العربيـــة فـــي الوسط الأكاديمي بتشجيع إقامة منتديات أدبية ثقافية متنوعة –حالـــة نيجيريـــا مثلاً. كما مثلت الثورة التقنية التي شهدها مجال الاتصال والمعلومات واحـــدة من العو امل الخارجية لهذا التطور، لأنها أزالت الحواجز المادية والمعنويـــة المعرقلة لمثل هذا التطور. ولا شك أن تجديد المشهد الثقـــافي العربـــي فـــي أفريقيا غير العربية يمثل حاجة ملحة لاستنهاض المستعربين وتوجيه طاقاتهم الإبداعية على أسس منهجية وخطط واعية لاستيعاب وضع الجمـــود القـــائم والمستعصي، وقد أفادت محاولات التطور من الحركية المتنامية والظـــروف المواتية في هذا الصدد وأسفرت عن تحسنات في الحركـــة الإبداعيـــة فـــي

التأليف والنشر والتواصل المباشر بين المستعربين الأفارقة ونظرائهم العرب، حيث ولجوا أبواباً جديدة فكتبوا في أجناس وألوان أدبية مختلفة، ونورد هنا بعض الشواهد ومؤشرات التطور في الكتابة الإبداعية والأدبية في الساحة النيجيرية على سبيل المثال لا الحصر. وهذه بعض الشواهد ومؤشرات التطور في الكتابة الإبداعية والأدبية في الساحة النيجيرية على سبيل المثال لا الحصر.[٨] ففي مجال القصة القصيرة صدرت مجموعات قصصية كثيرة لأدباء نيجيريين معاصرين من الشبان المستعربين، مثل: (السنة) لمرتضى عبد السلام الحقيقي عام ٢٠٠٦م، (خادم الوطن) لحامد محمود إبراهيم الهجري و(أهل التكرور) لآدم يحيى عبد الرحمن الفلاني، وقصة (على الطريق) ٢٠٠٨م للكاتب نفسه، وفي مجال المسرح, هناك: (العميد المبجل) لزكريا حسين التي كتبها في ١٩٩٤م، (السيد المحاضر) لمرتضى عبد السلام الحقيقي، و(الطالب المغتر) لإبراهيم ليرى أمين ٢٠٠٩م، و(تحت الظل الممدود) (٢٠٠٨م) لإبراهيم سعيد أحمد الغمبري، وهي مسرحية شعرية. وفي مجال الرواية: (خادم الوطن) لإبراهيم حامد عام ٢٠٠٩م، و(رحلة البحث عن الإنسان) لكمال الدين بالوغن ٢٠٠٩م. كما نشطت حركة الترجمة من وإلى العربية، فقد ترجم عبدالرحيم عيسى الأول، رواية (الانتخاب مؤامرة) عام ٢٠٠٩م، وكتاب (واكا إلورن) من الشعر اليورياوي للعربية لمشهود جمبا عام ٢٠٠٠م. وفي مجال أدب الرحلات كتاب (من إلورن إلى تمبكتو.. رحلة في صحراء أفريقيا) لمشهود جمبا عام ٢٠٠٩م. وفي السيرة الذاتية: (مذكرات إمام وخطيب جامع) لمحمد الأول أبو بكر عام ١٩٩٥م. وفي مجال الشعر العربي النيجيري صدرت دواوين شعرية كثيرة، منها: ديوان الرياض (٢٠٠٥م) لعيسى ألبي أبوبكر، يضم نحو مئة وسبع عشرة

قصيدة، وديوان السباعيات (٢٠٠٨م) للشاعر نفسه، وبه مئة وسبعون قصيدة, من منشورات المركز النيجيري للبحوث العربية، وديوان (سمات البحر من نغمات الشعر) (٢٠٠٥م) لعبداللطيف سعيد أولاومي، وديوان (قطرات الخاطر) للشاعر نفسه، وديوان القلائد (الجزء الأول) ٢٠٠٧م لعبد الواحد جمعة أريبي, وديوان (صدف العواطف) (٢٠٠٩م) لإبراهيم سعيد أولاومى، وديوان (الميمية المحمدية في محاكاة البردة البوصيرية (٢٠٠٩م) لعباس عبدالله القوروي. يضاف إلى ذلك عشرات الدواوين لشعراء نيجيريين في المعارضة والمناقشة والمناظرة والجدل العلمي بين التيارات الفكرية والاجتهادات الفقهية وجماعات المصالح. كما يذكر في هذا السياق كتابات في الدراسات الأدبية النقدية مثل: كتاب (محمد النويهي والنقد الأدبي) لمحمد أول أبوبكر عام ٢٠٠٢م، وكتاب (البلاغة القرآنية لدى عبدالله بن فودي) لعبد الباقي شعيب أغاكا، وكتاب (صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر) لمؤلفه محمد أمين الله آدم والغمبري الصادر عام ٢٠٠٣م، وكتاب (تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال) لعثمان عبدالسلام محمد الثقافي، ٢٠٠٩م، وكتاب (الشعر العربي النيجيري بين الماضي والحاضر) الذي نشر عام ٢٠٠٩م لمؤلفه الأستاذ عبدالوهاب دنلادشيث. ومن الأعمال الأدبية المتميزة من نوعها كتاب (المقامات) الذي ألفه محمد الأول عبد السلام عام ٢٠٠٨م على منوال مقامات الحريري الشهيرة، وكتاب (معايير النقد الأدبي) لعبدالواحد جمعة، وصدر عام ٢٠٠٧م. ورغم هذا التحسن وتلك التطورات فتحديات الأوضاع وتزايد الاحتياجات تتطلب مزيداً من الحركة والعمل الدؤوب، لاسيما من الإخوة العرب لتشجيع المستعربين بالوقوف بجانبهم من

خلال الدعم المادي والمعنوي، ونشدد في هذا المجال على أن الدعم المعنوي قد يكون له تأثير أكبر وأقوى في بعض الحــالات مــن غيــره، فالزيــارات الميدانية الأخوية من المثقفين والمفكرين والأكاديميين العرب إلــى إخــوانهم المستعربين في أفريقيا لا تقل عطاءً، بــل تــدعم مــوقفهم ورســالتهم فــي مجتمعاتهم، كما نحث علــى التشــجيع بــدعوتهم فــي المناســبات العلميــة والتظاهرات الثقافية المختلفة، بالإضافة لنشر إنتاجاتهم في المجلات والوسائل المتاحة في البلدان العربية.

المحور الرابع

الرهانات المستقبلية لتحسين وضع اللغة العربية في أفريقيا

بعد هذا الاستعراض لواقع اللغة العربية والتفاعلات المجتمعية للمستعربين (الأفارقة) داخل بلدانهم يمكن الحديث عن بعض المتغيرات التي قد تسهم في إحداث تطورات إيجابية ونوعية لخريطة هذا الواقع في المنظور المستقبلي، ويمكن تقسيمها إلى متغيرات فكرية ثقافية/ متغيرات سياسية/ متغيرات اقتصادية وأخرى اجتماعية:

الرهانات المستقبلية:

المصالحة التاريخية بين العرب و(الأفارقة):

تاريخ العلاقات بين العرب و(الأفارقة) قديم غير أن تفاعلات الطرفين في جزئياتها لدى بعض الأفراد تحمل ذكريات غير مريحة على خلفية وجود تجاوزات وممارسات غير مقبولة الشيء الذي كان ولا يزال مثيراً للجدل والامتعاض من الأطراف الأفريقية ويضربون على وترها في التضييق على اللغة العربية والقبول بثقافتها كجزء من الثقافات المحلية في السياق البلدان الأفريقية.

تغيير العقلية والذهنية الأفريقية والعربية:

تحسن مستقبل وضعية اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء يتطلب تغييراً في العقلية والذهنية التي يتحرك بها الأفريقي نحو تعلم العربية فالحاجة جد ماسة إلى إجراء مراجعة نقدية شاملة لجميع الأبعاد والدوافع المحركة للاتجاه صوب العربية تعلماً وتعليماً على ضوء المتغيرات العصرية الجديدة

وتداعيات العولمة وإجراءاتها المعقدة والجارفة، عملية فحص دقيق تمكن من التقييم الموضوعي والعقلاني لطبيعة الواقــع الجديــد وتحدياتــه ومســتوى استجاباتنا السابقة مع سبر الإمكانات والفرص الموجودة، ولعل من التساؤلات المؤكدة لأهمية مقاربة تحليلية نقدية كهذه هل يكفي الاعتماد فقط على المداخل المقصدية الدينية وحدها كمسوّغ ومتغيّر رئيس أم أنّ هناك متغيرات جديــدة وإكراهات عصرية لتعلم اللغة العربية وتدفع إلى العمل علــى نشــرها فــي البلدان الأفريقية؟.

الاحترام القانوني للغة العربية في بلادها:

يكون هذا الاحترام بجعل للغة العربية قيمة معتبرة على مستوى العــالم ولدى القوميات والمجتمعات الأخرى لأنّ ما تحظى به من احترام في البلــدان العربية نفسها على مستوى القوانين والأنظمة المرتبطة بالعمل والتشغيل فعلى سبيل المثال يمكن أن تكون إجادة اللغة العربية والحصول على شهادة الكفاءة اللغوية من الشروط الأساسية للوظائف لغير العرب بدلا من التركيز واشتراط الإنجليزية فقط فهذا ينعش حركة الإقبال والتعلم للعربية لدى الشــعوب غيــر العرب كما يسهم في الأمن القومي الثقافي العربي وتوسع حركة الاســتعراب الثقافي بطريقة عصرية مرنة.

حضارية اللغة:

من الرهانات التي نعول عليها في إحــداث تفــاعلات إيجابيــة مجتمعيــة الإعلاء من حضارية اللغة العربية وقيمتها الكونية فعلى الرغم ممــا تحملــه اللغة العربية من القداسة وما أضفى عليها نزول القرآن الكريم بها من بركــة وروحانيات فإنّه يجب أن نوسّع المقاربات التي تعتبر اللغــة العربيــة وعــاءً

ثقافياً ودائرة حضارية تجمع العديد من القوميات والأعراق والجنسيات الأمـــر الذي يكسبها عمقاً كونياً ويعطي مساحة حركية وقدرة تنافســية للمســتعربين على أرضية المعاصرة.

العرب والمثاقفة مع أفريقيا:

يرتبط هذا الرهان بمدى الانفتاح الحقيقي من قبل الأطراف المساهمة فـــي الحضارة العربية على إسهامات بعضهم البعض وفي هذا السياق نركز علـــى مدى انفتاح الطرف العربي على النتاج الثقافي والعلمـــي لنظيـــره الأفريقـــي باعتباره (العالم العربي) مركزاً ومنطلقاً لتلـــك الحضـــارة وبقيـــة القوميـــات والمناطق هامشاً وأطرافاً في الغالب لا تحظى نتاجاتها بتلك القوة والمكانة من المتابعة، فالاحتفاء والحضور القوي مع اتساع دوائر المشـــاركة الحضـــارية على امتداد العالم كله ودخول مزيد من الأسماء والشخصيات من المستعربين الأفارقة في علاقات إنتاج علمي وثقافي ومن ثم عمليات توزيعـــه واســـتقباله كلها مؤشرات كفيلة بإبقاء اللغة العربية والمشهد الثقافي العربي فـــي أفريقيـــا في حالة صيرورة متقدة متألقة.

مراجعة ناقدة للتعليم العربي:

المراجعة النقدية للمنظومة التعليمية العربيـــة بـــدءً بالأهـــداف والوســـائل والأليات والإمكانات على ضوء متغيـــرات الواقـــع ومتطلبـــات المجتمعـــات الوطنية في أفريقيا فلم يعد من المقبول استمرار حالة الجمود ورفض التحديث والتطور تحت مسميات مختلفة، فقد حان أن يكون لســـوق العمـــل الرســـمي الحكومي واحتياجات المجتمع المدني وضعية معتبرة في رسم منظومة التعليم العربي ومخرجاته في المنطقة.

العربية وإنتاج المعرفة:

اللغة العربية وإنتاج المعرفة: إن دخول اللغة العربية طرفاً بل مكوّناً بارزاً في إنتاج المعرفة العلمية عامل أساسي للإبقاء عليها حية وحاضرة بقوة في المحافل العلمية مثل إنتاج الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه في المجال.

العربية طابع القداسة:

الإبقاء على الطابع الرسالي والمهمة السامية المقدسة لتعلم العربية وتعليمها واعتبار خدمة اللغة العربية والعمل للحفاظ والدفاع عنها مسؤولية أخلاقية دينية يحتمها على المستعربين الأفارقة انتماؤهم الحضاري لهذه اللغة.

العربية مصدراً للثقافة:

العمل على أن تكون العربية مصدر تثقيف حقيقي فاعل للمستعربين وبوابة للإطلالة على ثقافة المجتمع والحياة بشكل عام حيث تتاح الأخبار والمعلومات المتنوعة عن المجتمع المحلي والإقليمي والدولي باللغة العربية عبر وسائل الإعلام ومؤسسات الثقافة.

الهوامش والإحالات

١. محمد عمارة (٢٠٠٤م)، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية القاهرة: دار النهضة ص٦.

٢. الخضر عبد الباقي محمد (٢٠٠٨م)، الإسلام والمسلمون في نيجيريا مجلة الدراسات للمنتدى العالمي للوسطية عمان العدد ٥ أغسطس ص٣٠.

٣. حسن إبراهيم حسن (١٩٦٣م)، تاريخ الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا الجزء الأول القاهرة: دار النهضة المصرية ص٦٨.

٤. الخضر عبد الباقي محمد (٢٠٠٤م)، المستعربون الأفارقة والنضال باللغة مجلة الوعي الإسلامي الكويت: العدد ٤٣٦ ص٣٠.

٥. الخضر عبد الباقي محمد (٢٠٠٤م)، الدراسات العربية في نيجيريا ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي لجمعية لسان العرب بالقاهرة ص٩.

٦. المستعربون الأفارقة والنضال باللغة مرجع سابق ص٣١.

٧. الخضر عبد الباقي محمد (٢٠١٧م)، تحديات الهوية الثقافية للمستعربين ورقة مقدمة للندوة الدولية اللغات في أفريقيا الرباط: معهد الدراسات وأبحاث التعريب ص١٧.

٨. عيسى ألبي أبو بكر (٢٠٠٦م)، اللغة العربية وآدابها في نيجيريا القاهرة/ دار النهار ص٢٥.

المناقشات والتعليقات

الأستاذ الدكتور علي محافظة:

من هم الذين ينشئون المدارس العربية في نيجيريا وغيرهـا مـن الـدول الأفريقية؟ هل للدول العربية دورٌ في هذا المجال.

ردّ الأستاذ الدكتور الخضر:

المدارس العربية تم إنشاؤها من قبل الأفراد وكذلك الحكومات ولكن أقسام اللغة العربية في الجامعات تم إنشاؤها من خلال التبرعات، انطلاقاً من خدمـة الدين الإسلامي، أم بالنسبة للدور الدول العربية، بعض الدول العربية لم تقصر، وجود بعض المراكز التي تدعمها (السعودية والكويت،.....)، لكن بحاجة إلـى مواكبة متطلبات العصر.

الأستاذة الدكتورة سرى سبع العيش:

محاضرتك سيدي الخضر خضراء، ويبدو أن بلادنا نائمة قليلاً ترى بعينها منذ قرن كيف ينحصر الإسلام وكيف تنحصر اللغة العربية ولا يسـتثير ذلـك حماسهم أبداً، أقول لك ألا تعتب إذا علمتم الحقيقة، نحن في بلادنا لم نستطع أن نقنع السياسات العليا التدريس باللغة العربية في جامعاتنا حيث تُدَرس المجالات العلمية باللغة الإنجليزية لتوحي للإنسان العربي بأن لغته غير صالحة للدراسة، غير أن لغتنا هي التي نشرت العلم في الماضي.

الدكتورة خلود العموش:

أريد أن أعتذر منك على تقصيرنا، كما يقول أسـتاذنا الـدكتور خالـد الكركي علينا أن نفرق بين المستوى السياسي والأنظمة والشـعوب، وأسـأل: أين تعلمت العربية؟

ردّ الأستاذ الدكتور الخضر:

تعلمت العربية في المرحلة الأولى في نيجيريا، ثم مرحلـة الدراسـات العليا في الجمهورية العربية المصرية حيث أنتمى إلى المدرسة المصرية.

أحد الحاضرين:

ما إمكانيات استخدام التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية في أفريقيا؟ هل هناك صدى لذلك وهل هي مستعملة، وما مدى تقبل عامة الناس تعلم العربية بواسطة الهواتف المحمولة أو التقنيات الحديثة الأخرى؟

ردّ الأستاذ الدكتور الخضر:

لقد ساعدتنا التقنيات الحديثة في تحديث العربية في أفريقيا، لكن لم يدخل الأفارقة في عالم الحداثة إلا متأخراً.

الأستاذ الدكتور خالد الكركي:

في حديث سريع مع الأستاذ أحمد مجدوبة، نائب رئيس الجامعة الأردنية، نقلت إليه فكرة سريعة وبادر بالموافقة عليها بعد موافقة مجلس المجمع، وهذه المحاضرة تدفع إلى التفكير بما هو آتٍ، فلا يوجد لدينا تقرير من مجامع اللغة العربية أو من الجامعات عن حالة اللغة العربية مثلاً في أفريقيا أو آسيا بأبعادها أو في الجامعات والمعاهد العربية، اقترحت عليه أن نستمر في هذا الموسم والعام القادم بمحاضرات تُعنى بهذا النوع من القضايا المعززة بالدراسات المسحية وقد نخلص إلى تقرير عن حال العربية بعمل أكاديمي، وهذا الاقتراح أنقله إلى الجامعة الأم وإلى مجمع اللغة العربية الأردني .

ردَّ الأستاذ الدكتور الخضر: نشكر معالي رئيس المجمع ونشكر الأستاذ نائب رئيس الجامعة على هذه المبادرة الجميلة.

أي مستقبل للعربية
في ضوء المفاضلة بين اللغات؟

الأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء
جامعة مؤتة

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأستاذ الدكتور خالد الكركي المحترم

رئيس مجمع اللغة العربيّة الأردني

أصحاب المعالي والعطوفة والسعادة أعضاء المجمع الكرام

السيدات والسادة الأفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنّه لمن دواعي البهجة أن أتسنم هذه المنصة في هذا المساء البهي بكم، الغني بحضوركم، ليكون الترحيب بكم مستهلاً لحديثي في هذه الندوة ضمن سلسلة فعاليات المجمع في موسمه السابع والثلاثين لعام تسعة عشر وألفين ميلادي. فالسلام عليكم بما أنتم أهل له من الترحيب، والشكر لكم ولحضوركم بما أنتم موئل له من التقدير والتكريم، وما أروع أن نختلس برهة لنذكر بالاعتزاز والعرفان تلك الجهود العظيمة لهذا المحفل الأكاديمي الذي يذود عن اللغة ويسعى جاهداً برئيسه وأعضائه ولجانه والعاملين فيه أن يجعل من رسالته معالم على الواقع، وتضاريس في خارطة الإنجاز والعطاء.

أمّا بعد؛ فقد انتدبني المجمع لهذه المحاضرة وأنا ما زلت أحبو في ركاب العالمين والمتعلمين، وعندما اتصل بي أستاذنا سعادة الدكتور عودة أبو عودة مبلغاً، وكنت في قرارة نفسي أمامه مأموراً ما اعتاد أن يسير في ركاب العاصين لأساتذته، ولا من المتقاعسين عن خدمة اللغة، وقد أدركت عندما ترك لي حرية اختيار الموضوع

أنّه قد ألقى عليّ قولاً ثقيلاً، فقد صادف ذلك من عملي أنّي كنت أعد بحثاً لأبحث به عن جائزة تشرّف الأردنيين ستقدّم في مؤسسة دوليّة، وكنت منهمكاً في إعداد كتاب كُلفت به من حوليات جامعة الكويت، رافقه ثلاثة تكاليف بمناقشة رسائل في برنامج الدكتوراه والماجستير تزامنت جميعها في هذا الأسبوع، وهذه الأعمال جميعها بما فيها المحاضرة كانت مقرونة بموعد زمني، فأدركت أن لا مناص من قوله جلّ في علاه: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ (طه) فأدركت أنّ ملاذي في إنجاز المطلوب بقدر المبتغى المأمول استكمال قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ (المزمل)، وكان عليّ **إذا** أخفقت بما هو معقود على هذه المحاضرة من أمل أن أتقي ما استحضره لي معالي رئيس المجمع وصديق المتنبي من قوله:

وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلِ ولا كلُّ فعّالٍ له بمتمّمِ

السيدات والسادة الأكارم:

اسمحوا لي أنّ أبدأ هذه الندوة من النصف الثاني لعنوانها، فعندما عقد ابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ) باباً في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) بعنوان: (القول فِي أنّ لغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعُها) (١) لم يبتعد عن معطيات

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٩.

وجدانية ودينية بادئ الأمر، فبدأ هذا الباب بقوله تعالى: قال جلّ ثناؤه ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ (الشعراء) فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بهِ الكلام، وهو البيان. ولا يفوتنا التنويه بأنّ هذه الآية وردت في سورة الشعراء، والشعر هو مناط البيان، ولم يبتعد المفسرون عن تعليل هذا الوصف القرآني للعربية "ليكون بيّناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة" كما قال ابن كثير.

إنّ الذي يعنينا من هذه الآية هنا أنّها ألقت بظلالها على الفكر اللغويّ في المفاضلة بين اللغات، فقد قال فيها سفيان الثوري (ت: ١٦٠هـ):" لم ينزل وحي إلا بالعربيّة، ثم ترجم كلّ نبي لقومه، واللسان يوم القيامة بالسُريانية، فمن دخل الجنة تكلّم بالعربيّة". وبعيداً عن الإيمان بما قال سفيان، أقول إنّ التكريم القرآني للغة العربيّة شأن رباني عظيم ما دمنا مؤمنين بالقرآن، وحقيق بالاعتزاز، ولكن دعونا نرى سبب تلك الأفضلية التي تحدّث عنها ابن فارس أهو للوصف الرباني أم لمعايير لغويّة؟.

وثمّة آية في القرآن الكريم نشتمّ منها البيان صفة في اللسان، ولم تختص به العربيّة، قال جلّ ثناؤه :﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن) ولكن العلماء ربطوا بين الآيتين "فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه". إنّ هذه الأحكام التي تستند إلى المعتقدات والوجدانيات لا مكان لها في اللسانيات المعاصرة. والذي يعنينا أنّ ابن فارس استند إلى معايير أخرى في المفاضلة، "فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأنّ كلَّ مَن أَفْهَمَ بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إِن كنتَ تريد أنّ المتكلّم بغير اللغة العربيّة قَدْ يُعرِبُ عن نفسه حَتَّى

يُفهمَ السامعَ مرادَه فهذا أخسُّ مراتب البيان، لأن الأبكم قَـدْ يـدلُّ بإشـارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده، ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيِّناً أَوْ بليغاً".

لقد بيّن ابن فارس معيار الترادف بين الألفاظ في المفاضـلة "وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربيّة فهذا غَلط، لأنّا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إلاَّ باسم واحد، ونحـن نـذكر للسيف بالعربيّة صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما مـن الأشـياء المسمّاة بالأسماء المترادفة". وذكر ابن فارس عناصر لغوية للمفاضلة: "وَقَـدْ قال بعضُ علمائنا حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحـد مـن التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة" .

لقد ذكر ابن فارس أمثلة من القرآن مما يصعب ترجمته إلى السُـريانية أو الحَبشية أو الرُّومية، وذكر أمثلة من الشعر وأمثلة العرب، كقـول امـرئ القيس:

فَدَع عَنكَ نَهباً صيحَ في حَجَراتِـهِ وَلَكِن حَديثاً ما حَـديثُ الرَواحِـلِ

وذكر من أمثلتهم التي يصعب ترجمتهـا كقـولهم: (وعـيّ بالأسـناف) (السنف للبعير)، ثمّ ذكر طائفة من معايير المفاضلة اللغوية كالقلب للتخفيف، والتخلص من ساكنين، وفي لغة العجم ثلاث سواكن كمـا قـال، والإدغـام، والحذف، وما اتسمت به التراكيب من حمولة دلالية عميقة "فأين لسائر الأمـم مَا للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبّر عن قولهم: ذات الزُّمَيْن (تراخي الوقـت)،

وكَثْرَة ذات اليد، ويد الدهر (أبداً)، وتخاوَصَت النجوم (ضغت للغروب)، ومَجَّت الشمسُ ريقها، ودَرأ الفيءَ (الظل أو الخراج)"[١].

لا تحسبوا أنّ الذي جاء به ابن فارس بدعاً، فشعور الأمم بتفوق لغاتها ظاهرة بعيدة الامتداد زمنياً ومكانياً، ويسمّى هذا في اللسانيات الحديثة بالتحيّز اللغويّ[٢]، وبعضه يرتبط بالتحيز العرقيّ، ولم تسلم اللغات الأوروبية نفسها من هذا التحيّز، وثمّة كتب كثيرة تضمنت مظاهر من هذا التحيز وانتقاص اللغات الأخرى، كما في كتاب (عبر منظار اللغة) لغاي دويتشر ترجمة حنان عبد المحسن، ونشرته عالم المعرفة ٢٠١٥م، وكتاب لغات الفردوس لمورس أولندر، ترجمة جورج سليمان، ٢٠١٥م. وثمّة إدعاء بأنّ العبرية تفوق اللغات، ومنهم من فضّل اللغة السنسكريتية (لغة الهند المقدسة، وتحدث الفيلسوف الإيطالي إمبرتو إيكو عن بحث الأوروبيين طوال ألف سنة عن تلك اللغة التي لم يجدوها، ويقول دويتشر إنّ التلمود يخبرنا أنّ اليونانية للغناء، واللاتينية للحروب، والسريانية للرثاء، والعبرية للاستعمال اليومي، ويقول تشارلز الخامس إمبراطور روما وملك أسبانيا الذي يجيد عدة لغات: إنّه يتكلم الإسبانية للرب، والإيطالية للنساء، والفرنسية للرجال، والألمانية للجياد)، وأشار حمزة المزيني إلى هذه المسألة في مقدمة ترجمته لكتاب (هل بعض اللغات أفضل من بعض) لروبرت وليم ديكسون[٣].

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص٢١.

(٢) التحيز اللغويّ، وقضايا أخرى، حمزة المزيني، كتاب الرياض، العدد١٢٥، لسنة ٢٠٠٤م.

(٣) هل بعض اللغات أفضل من بعض، روبرت وليم ديكسون، ترجمة حمزة المزيني، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٩، ٢٠١٨م، ص١١-١٩.

لقد استندت المفاضلة بين اللغات والتحيّز إلى لغة ما إلى معطيات عرقية، وأخرى دينية، وثالثة جغرافية، فقد أخذ الأوروبيون (الفيدا) وهو كتاب السنسكريتية المقدّس بديلاً للكتاب المقدّس يرون فيه تاريخهم، وربطوا بين الامتداد الشاسع للسنكريتية من الهند وحتى غرب أوروبا وبين قدرة هذا العرق على الاكتساح والتفوّق، وبرز عند الفلاسفة انحياز لغوي منذ مرحلة قديمة على النحو الذي برز عند الفيلسوف الألماني هردر في حديثه عن العبرية، كما برز هذا التحيّز عند جوزيف أرنست رينان وحديثه عن العرق الآري وتفضيله على الساميين، وربطه بين اللغة والدين، وهذا الربط برز عند ماكس مولر (ت١٩٠٠م)، وثمّة طائفة من العلماء ربطوا بين اللغة والدين والعرق أشار إليهم المزيني في كتابه التحيّز اللغويّ[1]. وقد وضع فرديناند دي سوسور (ت١٩١٣م) حدّا لهذا التحيّز عندما وجّه نقداً قوياً لتلك الاعتقادات العرقية والدينية اللغويّة.

لقد ارتبطت المفاضلة بين اللغات بمفاضلة داخلية بين اللغة النموذجيّة واللهجات التابعة لها، وبرز تحيّز للغة الفصيحة أو النموذجية أو المشتركة، ولم تكن المفاضلة بين العربيّة الفصيحة ولهجاتها حكراً على العرب بل كان ذلك سمة عامة في علم اللغة، واتجه علم اللغة الحديث إلى إنهاء مثل هذه المفاضلات التي لا تستند إلى معايير لغويّة.

إن تاريخ الموازنة بين اللغات طويل، والانحياز اللغوي والعرقي ضارب في التاريخ، وتقدّم المصادر سلسلة طويلة من مظاهر الموازنات، وبعد ظهور علم اللغة الحديث، أصبحت الموازنات جزءاً من تاريخ مضى، ولكن

(١) التحيز اللغويّ، وقضايا أخرى، حمزة المزيني، ص٢٠-٢٤.

يظهر كتاب روبرت وليم دكسون (هل بعض اللغات أفضل من بعض) (Are Some Languages Better Than Others) الذي صدر عن دار نشر أكسفورد وترجمه حمزة المزيني إلى العربيّة العام الماضي، وطرح في الأسواق لهذا العام ليعيد مسألة المفاضلة إلى واجهة الاهتمام اللغويّ، ولكن برؤية جديدة، ومعايير لا صلة لها بالدين أو العرق، ويضعنا أمام السؤال: هل بعض اللغات أفضل من بعض؟.

إنّ الإجابة على هذا لن تجدوها في هذه المحاضرة، فقد استغرقت المحاولة من ديكسون ثلاثمائة وسبعين صفحة، والذي يعني المتحدث إليكم كما يعنيكم، ويعني هذا الصرح العلميّ وغيره من المجامع، أين تقف العربيّة من هذه المفاضلة؟ ولا أخفي عليكم أنّ اللغة العربيّة التي تصنّف رابعة على سلّم الانتشار حسب إحصائيات عام ٢٠١٨م، لم يرد لها ذكر في هذا الكتاب سوى في موضعين أو ثلاثة فقط مع إقحام من المترجم بين الفينة والأخرى، ويبقى السؤال مفتوحاً للمهتمين بالمقارنة للبحث عن مكان للغتنا في هذه الفاضلة. وهو ما انتهى إليه المؤلف ليجيب عن عنوان كتابه في قوله: "إنّ هذا الأمر يعود إليك أيّها القارئ لتقرّر عن هذا الشأن.

السيدات والسادة الأفاضل:

لمّ تعد المفاضلة حكماً، بل هي سؤال، أو قل: أسئلة. والإجابة تتطلّب اختبار الخصائص الأساسية للغة وموازنتها مع غيرها، ولن تتساوى هذه الخصائص في وزنها، بل تستمد قيمتها من استعمالها وأهمية وجودها في اللغة، فكثير من التفصيلات اللغويّة ليس لها مجال في الاستعمال، ولا تجدها إلاّ في المتون وبطون الكتب، وكم طاف العلماء الرواة للبحث لها عن شاهد، فقط ليجعلوا منها قاعدة؟ وإذا قارنت وأردت الفاضلة فخذ لغتين تكون فيهما

على القدر نفسه من المعرفة والإتقان، ووازن في الخصائص الأساسية بينهما، وحدد النقاط التي حققتها كلّ لغة في الوزن. وقرّر أي اللغات أسهل؟ وما هو أصلحها للتعليم؟ وما هو أيسرها للفهم والتعبير؟ فستكون الإجابة ليست المفاضلة بل مدى الصلاحية للبقاء، وهذا هو محور المفاضلة بين اللغات.

لقد ولّى عصر الأحكام الانطباعية، وغدت الانحيازات اللغويّة جزءاً من الماضي، وغدت المفاضلة علماً له أسس ومعايير، وأصبح السؤال الأصعب ليس: ما هي اللغة الأفضل؟ وهل بعض اللغات أفضل من بعض؟ بل ما معنى الأفضل؟ وما وجه المفاضلة؟ ولماذا هي أفضل؟.

إنّ المعايير التي حاول ديكسون أن يرسي دعائمها في المفاضلة، برزت في أحد عشر فصلاً، أولها: الأدوار التي تؤديها اللغة مع تعريج على تاريخ الموازنة بين اللغات، لتكون الأفضلية بمدى القدرة على الوفاء بهذه الوظائف، والفصل الثاني كيف تعمل اللغات في الصواتة والمفردات والتراكيب والأنماط، وثالثها: ما هو الضروريّ؟ وهو سؤال بعيد المنال في العربيّة، كبعد المسافة بين القواعد النحويّة وتفصيلاتها والقواعد التداولية التي تحكم التفاعل الكلامي[1]. ونعود إلى الفصل الرابع، وهو سؤال عمّا هو المرغوب؟ (الجنس والمصنفات) والأدوات، والزمن، والبرهانية، والسببية والنفعية، والفصل الخامس عنوانه: ما لا حاجة له، كالاستثناءات والشذوذ والضرورات، والتكميل، والزيادة النحويّة، والتكرار. أمّا الفصل السادس فسؤال عريض وطويل وكبير ومهم، (ماذا عن التعقيد؟) والسابع: كم عدد الكلمات التي ينبغي أن توجد في اللغة؟ والثامن: الحدود التي يمكن أن تصل

---

(١) هذه قضية فيها تفصيل في كتاب: اللسانيات الوظيفية، عزيز العماري، وعبدالرحمن رحموني، دار كنوز المعرفة، عمّان ط١، ٢٠١٩م، ص١٢٢.

إليها اللغة. والتاسع: الأفضل من أجل ماذا؟. أمّا الفصلان الأخيـران فهمـا: اللغة المثالية، ومواجهة السؤال، اختصر فيهما الباحث كتابه.

سأقدّم نموذجاً مختصراً لقضية من فصول الكتاب، وهو الفصل السـابع: كم عدد الكلمات التي ينبغي أن توجد في اللغة؟ وللإجابة على هـذا السـؤال استعرض الباحث قضايا لغويّة كبرى كالمشترك اللفظي، والترادف، والتدقيق أي دقة الاستعمال، والتداخل بين فصائل المفـردات، ليصـل إلـى السـؤال الجوهري، وهي كم عدد الكلمات التي نحتاج إليها، فمعجم أكسـفورد للغـة الانجليزية في نسخته لعام ٢٠١٤م، يضم (٢٧٥,٠٠٠) مدخل، وهو يتعامـل مع تاريخ اللغة الإنجليزية وليس مع الحالة الراهنة، وقد استعمل شكسبير فـي مسرحياته (٢٠,٠٠٠) كلمة، واستعمل ميلتون في قصائده (٨٠٠٠) كلمـة[١]. وتتفاوت الكلمات في تكرار استعمالها، فيذكر معجـم (كوبيلـد Cobuild) أن أكثر الكلمات استعمالاً عددها (١٧٢٠) كلمـة تمثّـل٧٥% مـن الاسـتعمال الإنجليزي، وأنّ ما مجموعه (١٢,٨٨٠) كلمة تغطـي ٩٥% مـن الألفـاظ المستعملة في الإنجليزية، ومقابل ذلك ثمّة سؤال عن الحد الأدنى من الكلمات التي تحتاجها لغة ما لتقول فيها كلّ ما تريد، واختـرع اللسـاني البريطـاني أوجدن (Ogden) ما أسماه الإنجليزية الأساسـية، عـام ١٩٢٠م، وهـي لا تستعمل إلا (٨٥٠) كلمة مكتوبة، منها (٦٠٠ اسم) و(١٥٠) صـفة، و(١٦) فعلاً، إلى جانب الأدوات والضمائر[٢].

---

(١) جون مـلتون (John Milton) ؛ (1608–1674) شاعر وعالم إنجليزي، مشهور بقصـيدة "الفردوس المفقود Paradise Lost" التي كتبها في عام ١٦٦٧. أصيب في فترة لاحقة مـن حياته بالعمى، وكتب حول ذلك قصيدة مكونة من ١٤ بيتاً شعرياً، يعتبر جون ملتون من أبرز شعراء الأدب الإنجليزي.

(٢) انظر: هل بعض اللغات أفضل من بعض، ص٢١٨–٢١٩.

وإذا نظرنا إلى العربيّة وجدنا بعض الإحصائيات الشائعة تقول إنّ عــدد الكلمات وصل إلى (١٢,٣٠٠,٠٠٠) كلمة تقريباً، ولكن سأختصر القول فــي هذه المسألة وأقتبس فحوى مقال لحمزة المزيني عنوانه (عدد الجــذور فــي العربيّة بعيداً عن الانتفاخ والخرافة، الذي خلُص فيه إلى أّن عــدد الجــذور (١١,٥٣٢) جذراً، وتقليباتها (١٦٨,٩٢٤) صيغة، وعــدد الصــيغ الممكنــة حسب نظم التصريف العربيّة بلغ (٣,٤٥٩,٦٠٠) ثلاثة ملايــين وأربعمائــة وتسعة وخمسين ألفاً، وستمائة صيغة، وأكثر صيغ الرباعي والخماسي ليست موجودة إلاّ في المعجمات، ونسبة كبيرة من الثنــائي والثلاثــي والربــاعي والخماسي لا يستعمل، ونسبة المستعمل حقيقة هو (٤٠%) تقريباً؛ فيكون عدد الصيغ المستعملة تقريباً (١,٣٨١,٤٤٠) مليون وثلاثمائة وواحد وثمانين ألفاً، وأربعمائة وأربعين صيغة[١]. وهذا العدد تقديري قابل للتمدّد والتقلّص، فاللغة ظاهرة اجتماعيّة في طبيعتها.

إنّ المثال الأوضح على المسافة بين الألفاظ وما هو مستعمل منها، نجده في معجم الإبل، فقد أحصى الدكتور أنور أبو سويلم الألفاظ المتعلقــة بالإبــل وبلغت (٢٤١٧) مادة، وبلغ عدد الألفاظ المشروحة (٤٦٤٠) لفظاً[٢]، ولكم أن تقدّروا كم هو المستعمل من هذه الألفاظ في العصــر الحــالي؟. ولا يفــوتني التنويه بأنّ واحدة من قواعد المفاضلة بين اللغات ماثلة في أنّه كلّما زاد عــدد الألفاظ واتسع الترادف والمشترك والأضداد كلما زاد تعقيد اللغة وغموضها.

---

(١) انظر: https://www.docdroid.net/lYtq4hD/jthor-alaarby-almmkn-oalmhml.pdf.

(٢) انظر: هل بعض اللغات أفضل من بعض، هوامش المترجم، ص ٣٢٧، وانظر: الإبل فــي الشــعر الجــاهلي، أنــور أبــو ســويلم، دار العلــوم للطباعــة والنشــر، الريــاض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ج٢.

وإذا ما انتقلنا إلى القسم الثاني من المحاضرة وهو مستقبل اللغة العربيّة، فهذا موضوع استغرق من الدراسات ما يصعب حصره، وقد شـغل العلمـاءَ والمختصين في مرحلة مبكرة من العصر الحديث والقرن الماضـي، ومـن أشهر ما كتب: مقالة جبران خليل جبران: مستقبل اللغة العربيّة[١]، الذي ركّز فيها على الإبداع سبباً للبقاء والتنافس، ومحاضرات عن مستقبل اللغة العربيّة المشتركة لإبراهيم أنيس، ١٩٦٠م، وبحث الأستاذ الدكتور محمود السيد فـي بحثه عن مستقبل اللغة العربيّة ومتطلبات العصر القادم[٢]، وكتاب عبدالعزيز التويجري، وعنوانه (مستقبل اللغة العربيّة) لسنة ٢٠١٥م، وكتـاب: فتـاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربيّة. نهضة الشرق العربي وموقفـه إزاء المدنية الغربية، تأليف: مجموعة مؤلفين، وزارة الثقافة والفنون- قطـر. وكتاب: مستقبل اللغة العربيّة، لمحمد حسن عبدالعزيز، وغيرها كثير.

ناهيك عما عقد من ندوات وما أطول سلسلتها لو رمنا لها عرضاً، ومـن أشهرها الندوة التي نظمتها "مؤسسة الفكر العربي"، بالتعـاون مـع جامعـة القديس يوسف في بيروت، بمناسبة اليوم العالمي للغة الأم، وصدور الترجمة العربيّة للكتاب الفرنسي "أي مستقبل للغات؟ الآثار اللغوية للعولمـة"، لمؤلفـه العالم اللغويّ الفرنسيّ البروفسور لويس- جان كالفي الذي ألقـى محاضـرة بعنوان "أوزان اللغات في العالم وموقع اللغة العربيّة"، وقدّم لها رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت الأب البروفسور سـليم دكـاش، والمـدير العـام لـ"مؤسسة الفكر العربي" البروفسور هنري العويط، وشـارك فيهـا متـرجم

---

(١) انظر: http://cle.ens-lyon.fr/arabe/fichiers/l_avenir_de_la_langue_arabe_f

(٢) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٧) ، ج١، ص٧-٢.

الكتاب الدكتور جان جبور. وقد تضمنت المحاضرة بيانـــات خطيـــرة عـــن العربيّة المشتركة[١].

---

(١) أشار إلى أن "عدد اللغات المتداولة حول العالم يبلغ ٧ آلاف لغة، وهي متفاوتة من ناحية التوزيع الجغرافي؛ فالإنجليزية مثلاً أو الإسبانية أو الفرنسية تنتشر داخل أوروبا بنسبة ٤%، لكنهـا فـي إفريقيا تستحوذ على ٣٠% من اللغات المتداولة، و١٥% في أميركا اللاتينية. ولفت إلـى أن ٥% من لغات العالم يتداولها ٩٤% من سكان العالم، فيما الـ٩٥% الأخرى يتداولها ٦% فقـط مـن السكان، لذا فهي مهددة بالانقراض"، واضعاً ترتيب اللغات بحسب عدد النـاطقين بهـا عالميـاً، الصينية في المرتبة الأولى تليها الإنجليزية ثم الإسبانية."

وأوضح أن "المقياس اللغوي الذي يعتمده يتضمن١٢عاملاً، بينها عدد المتكلمين للغة (كلغة أم أو كلغة ثانية)، عدد البلدان التي تكون فيها اللغة رسمية أو وطنية، تدفقات الكتب المترجمة من اللغة واليها، خصوبة الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات، الموقع الذي تحتله على شبكة الإنترنت، الوزن الاقتصادي للبلدان التي تتكلم هذه اللغات أيضاً.. إلخ. ويختلف موقع اللغات وترتيبها تبعا للعامـل المستخدم، فإذا أخذنا في الاعتبار عامل الانتشار الجغرافي، تحتل اللغة العربية المرتبة الثالثة كلغة رسمية معتمدة في ٢١ بلداً تمت كتابة مختلف المؤلفات الأدبية بها، وتمت الترجمة بشكل كبير منها وإليها، وإذا أخذنا عامل التعليم في جامعات العالم بأسره، تحتل العربية المركز التاسع".

ورأى أن عامل "عدد الناطقين باللغة كلغة أولى "الذي حدده المقياس اللغوي بأكثر مـن ٥٠٠ ألف شخص، يستبعد اللغة العربية، علماً أن عدد اللغات التي ينطق بها هذا العدد يبلغ ٥٦٣ لغـة". وميز "بين اللغة العربية الفصحى والعربية المحلية أو العاميات، وبناء على هذا التمييز"، أوضح أن "استبعاد" العربية في هذا العامل يعود إلى كونها اللغة الرسمية في ٢١ بلداً، ولكنها ليست اللغة الأم في هذه البلدان، ولا حتى اللغة الأولى التي يتحدث بها السكان الذين يتكلمون العاميات، وعلى هذا المقياس نجد اللغة العربية بلهجاتها المختلفة في مراتب متأخرة. وعلى سبيل المثال، تأتي العربيـة الخليجية في المركز رقم ١٣٦، والعربية المشرقية في المركز ١٣٨، أما العربية المصرية فتحتل المركز ١٥٦، والعربية الجزائرية في المركز ٢٣٥، والعربية المغربية في المركز ١٨٥، والعربية السودانية في المركز ٢١٧.

وطرح ثلاثة أسئلة تتعلق باللغة العربية: "الأول عن طريقة الانتقال إلى اللغة العربية في جميع البلدان التي ترغب في تغيير نظامها التدريسي، فما هي اللغات التي سيتم اعتمادها ولماذا؟ وهل هذه البلدان مجهزة لذلك؟ وهل لدينا مدرسون ومدربون قادرون على القيام بهذا العمل؟ والسؤال الثاني هو: أي "عربية" ستستخدم؟ الفصحى أم العامية؟"، أما السؤال الثالث فهو: هل نحن في صدد دراسة اللغة العربية ككيان واحد؟ ليطرح السؤال مجدداً: هل نحن نتحدث عن اللغة نفسها؟.

إنّ المتاح لي على خارطة هذا الموسم من الوقت يدفعني للوقوف على واحد من الجهود المبذولة حول مستقبل العربيّة، وهو فصل واحد من كتاب صادر عن دار جون بنيامين في أمستردام، ٢٠١٧م، عنوانه:

(Applied Linguistics in the Middle East and North Africa Current practices and future directions)

(اللغويات التطبيقية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: الممارسات الحالية والاتجاهات المستقبلية)، وعنوان هذا الفصل: اللغة العربيّة إلى أين؟ من عوالم ممكنة إلى مسارات مستقبلية ممكنة، لمؤلفه جون إيزيل مدير برنامج الدراسات اللغوية في قسم اللغات والآداب الحديثة في فريجينبا، وترجمه حمزة المزيني، وصدر عام ٢٠١٩م، وتاريخ صدوره هو سر اختياره.

يدرس هذا الفصل واقع اللغة العربيّة في الماضي والحاضر مع نظرة استشرافية للمستقبل، ويرى الباحث أنّ الوضع اللغوي ظلّ منذ ما قبل الإسلام وحتى تاريخه وضعاً تغلّبت فيه إيديولوجيا وحدة اللغة وتوحدّها ضدّ التعدّد والتنوّع، فبرزت قضية كبرى هي الازدواجيّة التي هيمنت على مشاكل العربيّة، وعرض أثر التطورات السياسية الأخيرة في المنطقة على اللغة ممثلة بما حدث في العراق وسوريا ورحلة النزوح التي ستترك أثراً بالغاً على العربيّة، وما رافق ذلك من انفصال بعض المناطق في شمال العراق، وجنوب السودان، ويضاف إلى ذلك شمال سوريا، ولا نعرف عن مستقبل العربيّة في اليمن[١]، زيادة على مسألة الاعتراف باللغة الأمازيغية في

---

(١) سكان كردستان العراق بلغ ما بين ٤–٥ مليون نسمة، ونسبته ١٥% من سكان العراق، في محافظات الإقليم الأربعة أربيل والسليمانية ودهوك وحلبجة. ومساحتة ٤٠٠٠٠ كيلومتر مربع ، أي أكبر من هولندا، وما يعادل أربع مرات مساحة لبنان، وبلغ سكان جنوب السودان(٨) ملايين تقريباً ومساحته (٦٢٠٠٠٠) ألف كيلومتر مربع، ولغته الرسمية الإنجليزية. نسبة الأمازيغيين في المغرب تقريباً من ٢٥–٣٠%، وفي الجزائر بين ٢٠–٢٥%، وليبيا ما بين ٥–٧%. وهذه أرقام ليست رسمية.

المغرب العربيّ، وما يطالب به الأمازيغيون في الجزائر، وهيمنة الفرنسية على بعض الدول كالمغرب والجزائر وتونس، وهيمنة الإنجليزية في بعض دول الخليج كالإمارات وقطر، وهذه قضايا كبرى تؤثر على امتداد العربيّة عدداً ومساحة.

إن استشراف مستقبل العربيّة سار في اتجاهين: الأول يشير إلى أخطار تتهدد العربيّة أشهرها الازدواجية، والانجليزية المعولمة، واحتمالية الانقراض، والثاني يشير إلى أنّ العربيّة هي نفسها الخطر، وأنّ المستقبل للعربيّة، ومقابل ذلك ثمة دراسات تشير إلى أنّ العربيّة لها ماضٍ فقط. وهذا ملخص الدراسات التي تنتشر على الانترنت كما يقول جون إيزيل، ويشير إلى مسألة مهمة وهي أنّ الدراسات الخاصة بالعربيّة تسأل كيف نعود بالعربيّة إلى ألف سنة إلى الوراء، والدراسات الاستشرافية المستقبلية للغة الانجليزية تسأل كيف يستمر انتشار اللغة الانجليزية المعولم، أي أنّ دراسات العرب استعادية ودراسات الغرب استشرافية.

هناك تنبؤان مشهوران عن مستقبل العربيّة، الأول لتشارلز فيرجسون الذي يتوقع أن تتطور العربيّة ببطء لتتفرّع إلى عدد من اللغات النموذجية، والثاني تنبؤ (راي) ١٩٦٨م، بظهور عدة تفرعات للعربية بالطريقة التي تفرعت بها الفرنسية والإسبانية وغيرهما عن اللاتينية. وثمّة نظرة لبروستاد٢٠١٥م تشير إلى التلازم بين العربيّة النموذجية وتنوعاتها اللهجيّة[١]، فالعربيّة التي عايشت هذا التلازم منذ ١٦٠٠ عام ستتعايش معه لألف سنة قادمة.

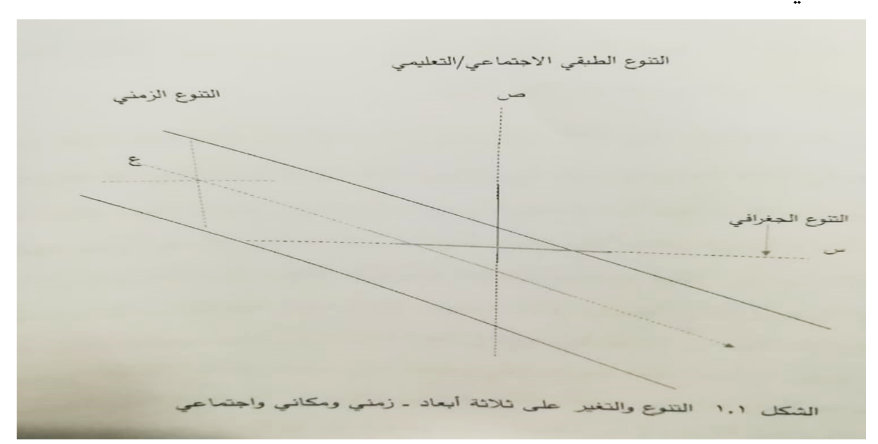
لقد عرّج (أوزيل) على بعض الدراسات حول مستقبل العربيّة، مثل مقالة جبران، ودراسة جورجينا أيوب٢٠٠٢م، وفي هاتين الدراستين أسئلة عن

---

(١) اللغة العربية إلى أين، ص٧-٨.

مستقبل العربيّة تحتاج إلى أجوبة غير موجودة. ويفــرد أيضـــاً حـــديثاً عـــن تعريف اللغة العربيّة من وجهة نظر (متكلميها) وغير (متكلميها)، فهل يشـــمل التعريف العربيّة النموذجية دون لهجاتها، أم مع لهجاتها فنقــر بـــالتلازم، أم نتحدث عن لهجاتها ونقرّ بالتنوع، فقسم ينظر إلى اللهجات على أنّهـــا إفســـاد للعربية النقية، وقسم ينظر إليها على أنّها تنوعات تحكمهـــا قواعـــد، وينظـــر المستعربون كما وصفهم (أوزيل) إلى العربيّة على أنّها نظام فيه تنوّع، الـــذي أطلق عليه تشارلز فيرجسون مصطلح الازدواجية، وهذا المصطلح تعـــرض لنقد اللسانين فيما بعد لإهماله الجوانب الوظيفية.

إنّ العربيّة من وجهة نظر أوزيل: نظام لغوي معقّد يشتمل علـــى تنـــوّع كبير من الجماعات الخطابية المتغايرة لكنها غير متمـــايزة، وهـــذا التغـــاير تحكمه ثلاثة أبعاد (س) ويمثل البعد الجغرافي (الامتداد)، و(ص) ويمثل البعد الرأسي الذي يصف التعدّد طبقاً للطبقة الاجتماعية والتعليم والعمر والجـــنس (بُعد ثقافي واجتماعي)، و(ع) ويمثل البعد الزمني لامتداد اللغة عبـــر الـــزمن من الماضي إلى الحاضر[١].



الشكل ١.١ التنوع والتغير على ثلاثة أبعاد - زمني ومكاني واجتماعي

---

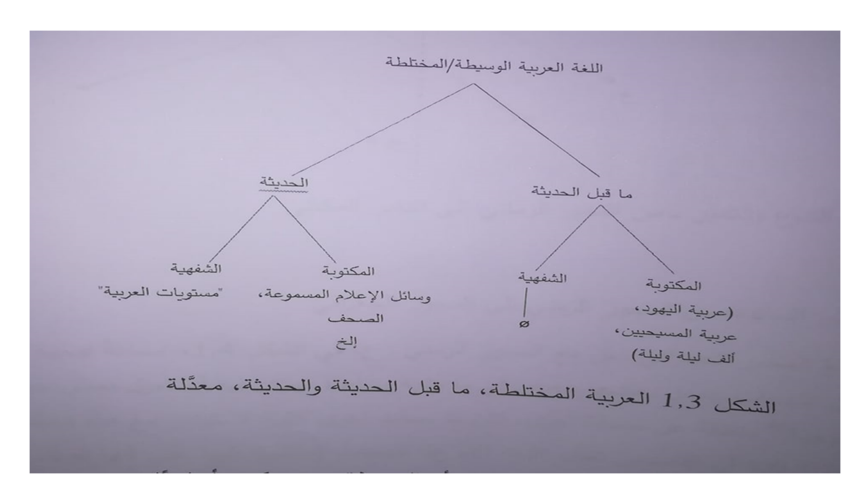
(١) اللغة العربية إلى أين، ص١٦.

إنّ وجهات النظر الاستعادية التي تبحث عن مستقبل العربيّة تأخذ بالحسبان المراحل التي مرّت بها العربيّة من ظهورها المتعالي وانتصاراتها الذهبية، ثمّ تراجعها المدوي، ثمّ نهوضها بحصول أحد أبنائها على جائزة نوبل، والعربيّة مرت بأربعة أطوار متفاوتة زمنياً: الوحدة، والنقاء، والتنافس والاستمرار، الوحدة ممثلة في مرحلة المعلقات والنقاء في القرآن وعصره، والتنافس عندما دخل غير العرب في العربيّة، والاستمرار بدأ مع اقتحام الدول الأوروبية للعالم العربي فأصبحت العربيّة عنوان وحدة وأداة صراع وبقاء، وأصبح الإحياء عنوان مرحلة شابه كثير من الإبداع الذي يضمن لها البقاء. وظهرت المجامع لضمان النقاء والدفاع عن العربيّة، وبرز صراع التنافس مع الانجليزية والفرنسية الذي ما زال مستمراً، وكذلك الصراع مع العاميات. والاستعادية تبحث عن مرحلة الوحدة والنقاء التي مرت بهما العربيّة، وهنا يبرز البعد الزمنيّ في الأبعاد التي أقرها زويل.

يتقاطع مع البعد الزمني بعد اجتماعي وثقافي الذي يمثل التنوع اللغوي الذي شوّه مثاليات العربيّة، وله امتداد جغرافي على المحور (س) وهذا نجم عنه العربيّة الوسيطة[١] التي برزت في الكتابات في العصور المتوسطة كما يسميها زويل والعصور المتأخرة كما يسميها المترجم، وفيها مزاوجة بين العامية والفصيحة كما في (ألف ليلة وليلة)، ويوازي ذلك العربيّة المختلطة التي تمثّل اللغة الشفهية غير المكتوبة التي أشار إليها (هايجر ٢٠١٢م)، وهذه اللغة الوسيطة طرأ عليها تغيّر بسبب دخول الحداثة على معادلة التطوّر، وبعدها العولمة. فسيكون شكل العربيّة بعد الحداثة والعولمة غير شكلها في العربيّة الوسيطة. ولكن بكلّ تأكيد سيكون للعربية المختلطة حضور قوي في العربيّة المستقبلية.

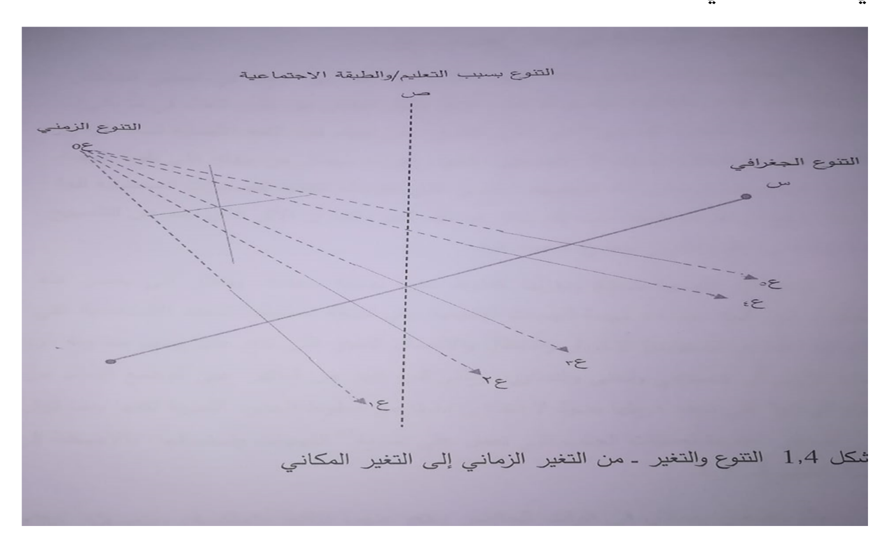
---

(١) يوجد بحث ممتاز عن مفهوم العربية الوسيطة لعبدالمنعم جدامي، مجلة جسور، https://platform.almanhal.com/Files/2/75134



الشكل 1,3 العربية المختلطة، ما قبل الحديثة والحديثة، معدّلة

إنّ التنوعات اللهجية التي تشكل اللغة الوسيطة تتفاوت بقدر بعدها عن المحور (ع) الذي يمثل البعد الزمني، وبقدر امتدادها على المحور س الذي يمثل البعد الجغرافي، وسيحد منها أو يزيد فيها المحور ص الذي يمثل البعد الثقافي والاجتماعي[1].



شكل 1,4 التنوع والتغير - من التغير الزماني إلى التغير المكاني

(١) التمثيل البياني مقتبس كاملاً من بحث: اللغة العربية إلى أين، لزويل.

ويخلص الكاتب إلى أنّ اللهجات تمثل عوالم ممكنة ظهرت إلى حيز الوجود ولها امتداد زمني طويل، والمناطق اللهجية متغيّرة، وثمة عاملان مؤثران في الوقت الحاضر؛ الأول وهو الهجرة الداخلية التي تغيّر معادلة التأثر اللهجي، والثاني وهو الهجرات الخارجية بفضل الصراعات والحروب، وتأثير الثاني يصعب التنبوء به مع استمراره. ولكنّه سيؤدي إلى اتصال لهجي مؤثر، ويجعل التحديات أمام العربيّة المشتركة أكثر صعوبة.

أمّا البعد الثقافي والاجتماعي الذي يمثل المحور (ص). فتبرز آثاره في التعليم والترجمة والإنتاج العلمي والمطبوعات، ومحو الأمية، والإعلام والمؤسسات التربوية، وما تمثله البيئات اللهجة من أبعاد اجتماعية، وفي العصر الحديث ستشكل العولمة ركناً أساسياً في هذا البعد، وهذه المسائل ستسهم في تقليص الفجوة بين التنوعات اللهجية والعربيّة المشتركة، ولكن ثمة دعوات لإحلال الفصحى محل اللهجات، وهو ما لم يحدث، ولن يحدث في المستقبل، ولكنّه واحد من نتاجات ما يسمى في علم الآثار بالزمن الخالد، الذي يعبّر عن مرحلة فيها منجزات عظيمة، ولكنه سيكون جزءاً من المستقبل؛ لأنّ البحث عنه سيبقى مستمراً في الدراسات الاستعادية وسيكون هدفاً أو بعض أهداف الدراسات الاستشرافية.

إنّ المسافة بين الزمن الخالد في الدراسات الاستعادية والزمن المنظور في الدراسات المستقبلية بعيدة جداً ستجعل من اللغة الوسيطة التي تقبل التعدد سائدة إلى جانب اللغة المشتركة، وهذا المشهد عاش ألف سنة تقريباً، وسيكون بكل تأكيد الملمح الأبرز في الألف القادمة التي ستتمدد فيها اللهجات ويقابل ذلك تمدّد في السعي لإحلال الفصحى بما يضمن لها البقاء. فما طبيعة العلاقة

بين الفصحى واللهجات؟ وهل ستكون اللهجات لغات وطنية؟ إنّ المسألة في حقيقتها صراع بين قوى التعدد اللغوي النبذية التي يمثلها المحور (ع)، وقوى تعليم اللغة النموذجية الموحدة (الجذبية) التي يمثلها المحور (ص). ويخلص زويل إلى أنّ المستقبل للعربية سيكون لغات عربية وسيطة وليست لغةً وسيطةً، بؤرتها لهجات العواصم، وربّما تضطر العربيّة الفصحى إلى إشراك اللهجة الوطنية في المشروعية.

إنّ إجابة زويل لا تتعدّى حدود التنوع اللهجي وتعايشه مع الفصحى، غير أنّ التحدي الأكبر هو مستقبل العربيّة ولهجاتها أمام اللغات العالمية، وهنا سنعود إلى الصفحات الأولى من المحاضرة عن هل بعض اللغات أفضل من بعض؟، فمستقبل العربيّة مرهون على قدرتنا على الإجابة على معايير المفاضلة: ما هو الضروريّ؟ وما هو المرغوب؟ وما لا حاجة له، وماذا عن التعقيد؟ وكم عدد الكلمات التي ينبغي أن توجد في اللغة؟ وما الحدود التي يمكن أن تصل إليها اللغة. وأخيراً: الأفضل من أجل ماذا؟.

وفي الختام الشكر موصول لكم جميعاً، ومقرون بالتقدير والاعتزاز بكم، والله نسأل أن يوفقنا وإياكم لخدمة هذه الأمة ولسانها المبين، وقدرنا أنّ نكون موصفين في قول المتنبي:

وَأَتْعَبُ خَلْقِ الله مَنْ زَادَ هَمُّهُ   وَقَصّرَ عَمّا تَشْتَهي النّفسُ وَجدُهُ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المناقشات والتعليقات

إحدى الحاضرات:

ما مدى ارتباط بقاء العربية وصلاحيتها بمكونها الأساسي وهو الإسلام؟ ما هو مستقبل العربية في ضوء مكونها الأساسي وهو الإسلام؟.

ردَّ الأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء:

يقول علماء اللغة لا يجوز اقتران اللغة بالدين، فعلى سبيل المثال (ماليزيا، الهند، الصين)، يوجد مسلمون لكن لا يحسبون على خارطة اللغة العربية بأي شكل من الأشكال، ثمة فرق بين متعلمي اللغة والناطقين بها، إذا أردنا أن نحيا بلغة لا بد أن تكون لغة حياة لا لغة عبادة، والدليل على ذلك أن الشعوب تتعبد بلغة وتتعلم بلغة أخرى.

أحد الحاضرين:

تحدثت عن معايير المفاضلة، وذكرت العولمة، ما دور العولمة في التقنيات الحاسوبية؟ وكيف نفاضل بين اللغات في هذا الجانب؟.

ردَّ الأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء:

في الحقيقة العولمة من التحديات العربية الكبرى، حسب معرفتي أن نسبة المحتوى العربي على الشابكة لا يتجاوز ٠.٥%، ما زلنا بعيدين، عدا عن ذلك أصبحت اللغة الإنجليزية متاحة على منصات التواصل الاجتماعي بالإضافة إلى اللغات الأخرى تتداعى على لغتنا، يجب التعامل مع قضايا العولمة بوعي، وأن تكون جزءاً من المشكلة في المنظومة المستقبلية، وهذا لن يتوقف عند مؤسساتنا.

المهم هنا كيف نهضم هذه العولمة، وكيف نتجاوب معها ونأخذ ما هو مفيد، وكيف نحد من خطورتها، هي لا تؤثر على لغتنا فحسب بل تؤثر على عاداتنا وأنماطنا، نحن في حاجة إلى حوسبة الدرس اللغوي بالإضافة إلى المكتبة الرقمية، نحتاج إلى إسهامات للحد من هذه المشكلة.

اللغة العربية والفرائض الغائبة

الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور
أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة

لِلُّغة -بصفة عامة- أهمية كبرى في حياة الإنسان وتاريخه وحضارته وعلومه وثقافته، وفي حياته الفردية والاجتماعية، وهي من أهم خصائصه التي يتميز بها على ما سواه من الكائنات، التي تشاركه الوجود على هذا الكوكب الذي نعيش عليه، وهي ملازمة له منذ وجوده الأول، وقد ارتبطت بوجوده وفكره ارتباطًا وثيقًا لا يمكن فَصْمه حتى إنه ليمكن القول إنه إذا وُجدت اللغة وُجد الإنسان، وإذا غابت اللغة غاب الإنسان، ولا عِلْم -عندئذٍ- ولا فكر ولا مدنية ولا حضارة. ولذلك تُعَدُّ اللغة من أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وفي هذا المعنى يقول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١-٤) وكان هذا البيان من أسباب تكريم آدم أبي البشر عندما علَّمه الله الأسماء كلها، وأعطاه المقدرة على معرفة الأسماء، وربْطها بمُسَمَّياتها، وكان هذا التكريم الذي فضَّل الله به آدم – في مقام الامتحان والاختبار عند الخلق الأول على الملائكة، (انظر الآيات ٣١-٣٣ من سورة البقرة) وورث ذريته -من بعده- نعمة هذا البيان، فتعددت ألسنتها وتكاثرت لغاتها، وكان ذلك آية من آيات الله التي تجلَّت في الإنسان دون غيره من الكائنات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾(الروم: ٢٢).

وقد أوضح الجاحظ (توفي نحو ٢٥٥هـ) هذا التفرد الذي حظي به الإنسان بأن الكائنات كلها تدلُّ على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، ومن بينها الإنسان، لكنها جميعًا -عدا الإنسان- توصف بأنها تقتصر على كونها أدلة غير أنها لا تستطيع التعبير عن ذلك فهي دليل لا يستدلُّ به "واجتمع للإنسان

أن كان دليلاً مستدلاً، ثم جُعل للمستدل سبب يدلّ به على وجــوه اســتدلاله، ووجوه ما نتج له الاستدلال، وسمَّوْا ذلك بيانًا" ثم يضيف إلى ذلك قولـــه: إن الفصيح من بين هذه الكائنات جميعها هو الإنسان، وإن البيان باللفظ هو أعلى درجات البيان(١).

واللغة – إذن– تكتسب هذه الأهمية الكبرى، لصــلتها الوثيقــة بجــوهر الوجود الإنساني؛ ولأن "الحدث اللساني ملازم للوجود البشري مهمــا تباعــد المكان أو تعاقب الزمان؛ بل مهما تنوعت الألسنة، واختلفت اللغات، ومعنـــى ذلك أن اللغة – من حيث هي وجود مطلق– لازمة الحضور مــع الإنســان، وفي ذلك طابعها الكوني"(٢).

ثم إن اللغة – كذلك– ذات وظيفة اجتماعية؛ لأنها هي الوســيلة الأولـــى للتواصل والتخاطب بين بني الإنسان، وهي السبيل الأكبر للعبير عمــا بيــنهم من المصالح والمنافع والعلاقات الاجتماعية على اختلافهــا: بيعًــا وشــراءً، واتفاقًا وافتراقًا، وبها تصاغ القوانين، وتكتب الدساتير، وتعقد العقود، وتتحــدد الواجبات والحقوق، وينطق الإعلام، وتدوَّن الثقافة، ويُعَبَّر عن الفكــر، وبهــا يُصاغ كثير من الفنون المعبرة عن المشاعر والوجدان، ثم هـــي ذات صـــلة وثيقة بتكوين الأمم وتحديد هويتها، وتجانس أفكار مواطنيها، لشعورهم بقــوة الرابطة التي تجمع بينهم، وتؤكد عوامل الانتماء عندهم. ويتفق علـــى ذلـــك

---

(١) الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون، تقديم د.أحمد فؤاد باشا، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢، جـــ١/٣٢-٣٣.

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية، د.عبدالسلام المسدِّي، الدار العربية للكتــاب، ليبيــا، ط٢/ ١٩٨٦، ص٤٨.

علماء اللغة والاجتماع وقادة الفكر ورجال السياسة، ويصل الأمر ببعض هؤلاء إلى حد القول بأن اللغة وطن، وأنه إذا حرم الإنسان من موطنه على الأرض، فإنه يجد موطنًا روحيًّا في لغته القومية التي يحسُّها دائمًا أبدًا بكل حواسِّه، والتي – لهذا السبب– سوف تصبح قوة حقيقية تمكِّنه يومًا من الحصول على موطن على الأرض[١].

وبناءً على ذلك كله يمكن القول: إن اللغة هي وعاء العلم، وخزانة الفكر، ومستودع التراث والتاريخ، وهي ركن مهم من أركان الهوية، وجامع قوي من جوامع الاجتماع الإنساني وهي – بهذا– أقوى ما يعبر عن الإنسان في حقيقة وجوده، وجوهر شعوره ووجدانه وإبداعه، وفيها تتجسَّد ملامحه النفسية، وقيمه الأخلاقية، ومواقفه الفكرية التي يستشعرها تجاه الكون والحياة الاجتماعية.

وإذا كان هذا يكسب اللغة – عمومًا– هذه المكانة العليا لدى البشر، فإن اللغة العربية قد اكتسبت بالإسلام مزيدًا من الأهمية، فقد كانت قبله لغة محلية محصورة في شبه الجزيرة العربية، ولم يكن لها من السعة والانتشار ما كان لغيرها من اللغات، كما أنها لم تكن غنية بالمعارف والفلسفات والعلوم والفنون مثلما كان في لغات أخرى كاليونانية واللاتينية والسريانية والفارسية والهندية والمصرية القديمة وغيرها، ولكن الإسلام حملها معه إلى كل البلاد التي دخلها، وكان لنزول القرآن الكريم بها أكبر الآثار في تاريخها فقد تحولت –بفضله– من لغة محلية إلى لغة عالمية، وبفضله –كذلك– نشأت في الدولة الإسلامية حركة علمية قليلة النظير ترتَّب عليها ظهور علوم كثيرة لم

---

(١) انظر: علم اللغة الاجتماعي، د.كمال بشر، دار الثقافة العربية ط١٩٩٢/١، ص٤٣- ٤٤.

يكن للعرب عهدٌ بها، فظهرت علوم اللغة، وعلوم الشريعة التي قامت حول القرآن والسنة[١].

ثم كان للانفتاح العلمي والثقافي الذي تميزت به الحضارة العربية الإسلامية أثر واضح في ظهور واحدة من كبريات حركة الترجمة في التاريخ، وقد انتقلت بها علوم الحضارات الأخرى كاليونانية والسريانية واللاتينية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية[٢]، وكان من آثار هذه الترجمة أنها احتفظت بتراث الأمم السابقة؛ بل إنها احتفظت بكتب ورسائل ضاعت أصولها في لغاتها الأصيلة، وكان من آثارها كذلك أن العلوم المترجمة قد أسهمت في بناء الحركة العلمية التي ظهرت لدى المسلمين، لاسيما فيما يتعلق منها بالعلوم الطبيعية والرياضية. ثم كان من الآثار – كذلك- ما حدث من تفاعل كبير بين هذا التيار العلمي الذي تمثله علوم الأمم الأخرى والتيار العربي الإسلامي الذي تمثله العلوم العربية والشرعية التي نشأت حول القرآن والسنة فهمًا لهما، واستنباطًا منهما وحفاظًا عليهما، وتقعيدًا لِلُّغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها، ثم هي لغة النبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن بلسان عربي مبين[٣].

---

(١) انظر مثلاً: مقدمة ابن خلدون، في حديثه عن هذه العلوم، وانظر -كذلك- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وفجر الإسلام وما تلاه من كتب الأستاذ أحمد أمين إلى مصادر ومراجع أخرى كثيرة.

(٢) انظر لصاحب هذا المقال: بواكير حركة الترجمة في الإسلام. طبع دار السلام، القاهرة، وفي الفلسفة الإسلامية: مقدمات وقضايا. طبع دار الثقافة العربية، القاهرة.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٨٩-١٠١.

وقد كان لنزول القرآن باللغة العربية أبلغ الأثر في أن يكون لهــا مقــام عالٍ، ومكانة رفيعة في قلوب المؤمنين بالإسلام: عرباً وعجماً، وأضفى ذلــك عليها طابعًا من المهابة والإجلال والتوقير، ونظر إليها المسلمون على أنهــا لغة شريفة مباركة حتى ولو كانوا من غير العرب وها هو أبو الفتح عثمــان بن جني (٣٩٢هـ) يفتتح كتابه: الخصائص، بما يكشف عــن احتفائــه بــه، معتقدًا أنه من أشرف ما صنِّف في علم العرب لأسباب منها أنه مــن أجمــع الكتب "للأدلة على ما أُودعته هذه اللغة الشــريفة مــن خصــائص الحكمــة، ونيطت به من علائق الإتقان والصنعة" ثم يقول في سياق حديثة عن الفصــل بين الكلام والقول إنه سيقدِّم أمام القول على فــرقٍ بينهمــا، مُبَيِّنًــا أن "هــذا موضوع يتجاوز قدْر الاشتقاق، ويعلوه إلى ما فوق. وستراه فتجــده طريقًــا غريبًا، ومسلكًا من هذه اللغة الشريفة عجيبًا"، ثم يقول مرة ثالثة إنه يزيد فــي إيضاح هذه الفصول من هذا الكتاب "لأنه موضــوع الغــرض: فيــه تقريــر الأصول، وإحكام معاقدها، والتنبيه على شرف هذه اللغة وسداد مصــادرها ومواردها"(١).

ثم ها هو أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) يفتتح كتابــه: فقــه اللغــة وأسرار العربية بقوله: أما بعد حمْد الله على آلائه، والصلاة والســلام علــى محمد وآله فإن مَنْ أحبَّ الله أحب رسوله المصطفى ﷺ ومــن أحــب النبــي العربيَّ أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، التي نــزل بهــا أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب"، ثم يقول: "ومن هداه الله للإســلام،

---

(١) الخصائص لابن جني، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، سلسلة التراث، طبع الهيئة المصرية للكتاب ط٤/ ١٩٩٩، جـ١/٥، ص٧٨.

وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدًا ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين..."(١). ثم ذكر أن الإحاطة بخصائصها والتبحر في دقائقها لو لم يكن فيها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة لكفى بهما فضلاً(٢)، ويترتب على هذا كله أن من أحب العربية لهذه الأسباب كلها عليه أن يُعنَى بها، وأن يثابر عليها، وأن يصرف همته إليها، وهؤلاء هم الذين قيّضهم الله لخدمتها والحفاظ عليها، وهم الخزنة من خواص الناس وأعيان الفضل "الذين كدُّوا في حصر لغاتها طباعهم، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم"(٣).

ويتضح من هذه النصوص وأمثالها –وهي كثيرة– أن الهدف الديني كان ملحوظًا في عمل هؤلاء العلماء، وقد أعطى هذا للغة العربية مكانًا عليًّا لم يكن لها قبل الإسلام، ولذلك وجدنا من يتحدث عن أن تعلمها يرتقي إلى درجة الوجوب والفرضية، وأن هذا التعلم لم يَعُدْ كتعلُّم أي لغة أخرى من اللغات التي يتعلمها الناس لقضاء مصالحهم، والتواصل مع غيرهم أو لمعرفة ما فيها من علوم ومعارف؛ بل إن تعلمها أصبح أمرًا واجبًا، وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "فإن الله لما أنزل كتابه بلسانه العربي (أي

---

(١) فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي، نشر بعناية أ.محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، ط١/ ٢٠١٠، ص١١.

(٢) انظر السابق، ص١١.

(٣) انظر السابق، ص١١.

الرسول ﷺ) وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين"، وقال في سياق آخر: "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم [كلاهما] إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، وهو يورد أثرًا عن عمر بن الخطاب ﷺ قال فيه: "تعلموا العربية فإنها من دينكم..."(١).

وترتَّب على هذا الربط الوثيق بين اللغة والدين أحكام عُني العلماء بتعريف الناس بها، ومن هذه الأحكام أنه تُكره الرطانة والتعلم بغير العربية كراهة شديدة، وعلة ذلك: أن اللسان العربي هو شعار الإسلام وأهله، وأن اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، وأن التحدث بغير العربية من التشبه بالأعاجم وهو مكروه(٢).

وأثمرت هذه النظرة إلى اللغة العربية ثمارها، فأصبحت لغة علم وثقافة وحضارة، وتحققت لها السيادة في بلاد كثيرة لم تكن مهدًا من مهادها، وقد التقت في مسيرتها، الظافرة بلغاتٍ متعددة في البلاد التي دخل الإسلام إليها فغالبتها اللغة العربية وغلبتها، وحلَّت مكانها على ألسنة أهلها الذين دفعهم

---

(١) ابن تيمية: اقتضاء الطريق المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، نشره د.ناصر العقل، مطابع العبيكان، الرياض، طبعة ١/ ١٤٠٤هـ، جـ١/٣٩٩، ٤٧٠، ٤٧١.

(٢) انظر السابق، ص٤٦١، وهو ينسب هذه الفتاوى إلى بعض كبار فقهاء الإسلام كالشافعي وأحمد بن حنبل، وبيَّن أن مثل هذه الأقوال مأثور عن بعض الصحابة والتابعين انظر ١/٤٦٥، ٤٦٩.

حب الإسلام والقرآن إلى حبِّها وتعلمها، فألفوا بها، وانتصروا لها، وحرصوا عليها، ودافعوا عنها، وعملوا على نشرها، ثم طوَّعوا العلوم التي انتقلت بالترجمة إليها، فوسعت هذه العلوم وصيغت بها، بما توصلوا إليه من وسائل كالاشتقاق والتعريب وزادها ذلك قوة وغِنًى حتى أصبحت لغةَ العلم الأولى في العالم قروناً لا تقل عن خمسة، بل تصل لدى بعض مؤرخي العلم إلى ثمانية من القرون.

- ثم عدت عليها العوادي داخلية وخارجية[١]، فتراجعت وتقهقرت عما كان لها من مكانة، وزاحمتها اللغات الأخرى في المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي والمدارس الدولية والأجنبية، ونافستها اللهجات العامية في وسائل الإعلام، وأصبحت لغة ثانية في بعض البلاد العربية في المؤسسات العامة والمؤسسات الاقتصادية في البنوك والشركات الكبرى التي تتعامل مع مواطنيها بلغات أجنبية لا يعرفها كثير منهم، وكتبت اللافتات والإعلانات بهذه اللغات أو باللهجات العامية، وأسهمت الثورة التكنولوجية في وسائل الاتصال في إيجاد لغة هجين لا هي عربية، ولا هي أجنبية، بل هي

---

(١) بسبب الحروب التي أحاطت بالحكم فيها، وأدت إلى سقوط الدولة العباسية (٦٥٦ هـ) على أيدي التتار، ثم بسبب الحروب التي قام بها الصليبيون، والتي استمرت قرنين من الزمان، ثم بسبب الفقر المترتب على هذه الحروب، وأدى هذا إلى ضعف الثقافة والأدب والروح العلمية التي كان العلماء يتحلون بها ثم جاء الاستعمار الحديث للعالم العربي والإسلامي، وما صاحبه من جهود المستشرقين التي حاولت النيل من كفاءة اللغة العربية، وعجزها عن حمل مؤونة العلوم، وما صاحبها من دعوة إلى العامية، وإحلال اللغات الأجنبية محلها، إلى أسباب كثيرة أخرى ليس هذا موضع تفصيلها.

خليط سقيم من أرقام وحروف عربية وإنجليزية وعامية، وأصابتها سهام العولمة الثقافية التي تحمل في طياتها لغات القوى الكبرى، وبخاصة اللغةُ الانجليزية، وتراجعت لغة التدريس وحركة التعريب في بعض البلاد التي كانت خاضعة للحكم الفرنسي في المغرب العربي، وخرجت اللغة العربية خروجا تامًّا أو جزئيًّا من بعض البلاد التي كانت اللغة العربية نغمتها كما حدث في جنوب السودان، وفي العراق، ويضاف إلى هذا كله أمران مهمَّان: **أولهما:** هو إبعاد اللغة العربية عن سوق العمل، و**ثانيهما:** افتقاد اللغة العربية لمشاعر الاعتزاز التي تشعر بها الشعوب نحو لغاتها، فضلًا عن أن العناية بمصير هذه اللغة لا يشغل أهل السياسة في كثير من البلاد العربية.

وبناءً على ذلك أصبح الخطر يحيط بهذه اللغة من كل جانب، وتكاثرت الجهود التي تسعى –دون كلل– إلى إضعاف اللغة العربية، والحلول محلها، وتنفير الناس منها، وإبعادها عن مجالها الحيوي الذي ينبغي أن يكون لها، وإضعاف روح الانتماء إليها.

وبناءً على هذا كله أصبح الخطر يحيط بهذه اللغة من كل جانب.

– وعلى قدر الخطر يجب أن يكون التحدي الذي يواجهه؛ نصرةً للغة الكتاب الكريم، والنبي العظيم؛ ودفاعًا عن أقوى الروابط التي تربط الشعوب العربية؛ وتعزيزًا لمكانة هذه اللغة الشريفة، التي هي مستودع فكرنا وعلمنا وثقافتنا، والتي هي مُقوِّم عظيم من مقومات هُوِيَّتنا وحضارتنا، وهذا كله يستوجب إحياءً **<u>للفرائض</u>** التي كانت –من قبل– من عوامل ازدهارها وثرائها وانتشارها وسيادتها، وهي العوامل التي ذبُلتْ أو غابت أو غُيِّبت فأدَّتْ إلى إزاحتها عن مكانها ومقامها؛ ومن ثم يجب العمل على استحضارها واستعادتها مرة أخرى على نحوٍ يلائم ظروف العصر، ويستعين بعوامل التقدم فيه.

ولعل أحق ما يجب البدء به هو ما يجب على الدول والحكومات والمجالس التي تمثل الشعوب في أقطارنا العربية من جهود وإنفاق وترتيب وتنظيم، فالبرلمانات تصدر القوانين، والحكومات تنفذها، ثم هي التي تشرف على وضع مناهج التعليم، وهي التي تنفق عليه في مدارسها وجامعاتها، وهي التي تصدر الأوامر، ولديها القدرة على إمضائها وتنفيذها، وهي التي ترسل البعثات إلى الخارج وتنفق على مبعوثيها، وتستطيع هذه الحكومات أن تلزم هؤلاء المبعوثين وهم بالآلاف أو بعشرات الآلاف على مستوى العالم العربي بأن يترجم كل واحد منهم كتابًا في تخصصه كما كان يفعل قديمًا الشيخ رفاعة الطهطاوي، ولنا أن نتصوَّر كمَّ الكتب وما تتضمنه من مصطلحات في فروع العلم المختلفة لو أن الدول العربية كلها اتخذت مثل هذا القرار الجماعي، إن الحصيلة لمثل هذا القرار ستكون كبيرة، وسيكون في ذلك إغناء للغة، ومواجهة علمية عملية لتعريب المصطلحات التي تقوم بها هذه الآلاف المؤلفة، ولنا كذلك أن نتصور النتائج التي تتواصل عامًّا بعد عام وستكتسب اللغة بهذا كله زادًا كبيرًا ينفخ الروح فيها، ويمدها بالقدرة على ردم الفجوة بينها وبين اللغات الأخرى.

- وتستطيع هذه الدول -كذلك- أن تسعى إلى تعريب التعليم الجامعي في فروع العلم المختلفة على نحو متدِّرج، تُعرَّب فيه الكتب للسنوات الجامعية سنة دراسية بعد سنة، وعلى خبراء التعليم أن يحددوا مقادير السنوات البينية التي يحتاج إليها تنفيذ هذا الأمر بين كل سنة وأخرى، ويمكن خلال هذه السنوات أن تصدر المعاجم المتخصصة، وتتحدد المشكلات الواقعية، وتتحدد سبل مواجهتها وينبغي أن تستمر هذه الجهود حتى يكتمل تحقيق هذه الخطة الاستراتيجية، حتى وإن طال أمدها؛ لأننا سنصل في نهاية المطاف إلى كسب كبير يستحق الحرص عليه مهما كانت العقبات والصعوبات، على أن يُصحب هذا كله بالعناية البالغة -في كل الأحوال-

بتعلم لغة أجنبية تعليمًا عاليًا وعميقًا حتى لا ينفصل الدارسون عن حركة العلم، في البلاد المتقدمة. ومع تحقيق التعاون والتكامل بين الدول العربية، وتبادل الخبرات بينها؛ لأنها تواجه مشكلة مشتركة لا تخص قطرًا بعينه، بل إنها تتعلق بالبلاد العربية كلها.

ولا يفوتني – في هذا المقام– أن أُشيد بما أنجزته بعض الدول العربية في هذا الشأن، فسوريا لها تجربة رائدة في التعليم الجامعي ينبغي تشجيعها والإفادة منها، وقد أصدرت الشقيقتان: العراق والأردن قوانين لحماية اللغة العربية والتمكين لها في مجال التعليم والإعلام والبحث العلمي وفي مجالات الحياة العامة، وقامت الأردن بتطبيق ذلك تطبيقًا عمليًّا قويًّا يستحق الثناء، وعلى بقية الدول أن تصدر مثل هذه القوانين، وأن تعمل على تحقيقها.

- وليس يخفى على أحد أن تحقيق هذه الأهداف الطموحة ليس بالأمر الهين، أو اليسير، بل إنه قد يوصف – عند معارضيه– بأنه ضرب من الخيال الجامح الذي يتعذر تحقيقه، بسبب الصعوبات والعقبات التي تحيط به، ومن هذه الصعوبات أن العرب يواجهون مشكلاتهم اللغوية هذه – فرادى، بمعنى أن كل دولة تواجهها بإمكاناتها الذاتية التي قد لا تمكنها من التغلب على هذه الصعوبات التي لا يمكن تجاوزها إلا بكفاءة علمية وتعبئة نفسية، ومطالب مادية وإرادة سياسية ومساندة مجتمعية، وقدرة فائقة على حشد الإمكانات ومواجهة العقبات. ولكن لو اجتمعت كلمة العرب – وهم جميعًا أصحاب هذه اللغة، ولها عليهم حقوق، وعليهم نحوها مسؤوليات لهان الأمر، وخَفَّ الحمل، وتيسَّر الحل، وعليهم – إذن– أن يبذلوا مثل ما تبذله الأمم للغاتها؛ حفاظًا عليها في بلادها، ونشرًا لها خارج بلادها، كما تفعل إنجلترا وفرنسا وروسيا والصين والهند وغيرها لنشر لغاتها، وهي تقدم البرامج التعليمية في إذاعاتها، وتقيم المراكز العلمية خارج بلادها، وتنفق على كراسي علمية في جامعات الدول الأخرى، وتقدم المنح للدارسين من غير طلابها، وتتيح لهم الفرص لزيارة بلادها، لسماع اللغة على أرضها. وهذا

كله يتطلب جهدًا ومالاً وتخطيطًا ونفسًا طويلًا، وصبرًا جميلًا، لكن هذا كله يهون ويحتمل من أجل نشر لغاتهم، وجذب الشباب النابغ إليهم، وهكذا ينبغي أن يكون العرب من أجل نشر لغتهم في بلادهم، قيامًا بحقها، واستشعارًا لمسؤوليتهم تجاهها.

ثم يأتي بعد ذلك دَوْر المؤسسات العلمية كالمجامع اللغوية، والجامعات ومراكز البحث العلمي، وعلى هؤلاء جميعًا أن يكونوا جنودًا في هذا الجهاد العلمي، وأن يكونوا طليعة لتحقيق ما ينبغي على الحكومات أن تفعله بل إن عليهم أن يشجعوا الحكومات على النهوض بهذا العبء الثقيل الذي يزداد ثقلًا بسبب تلك الفجوة الهائلة التي بيننا وبين الدول المتقدمة من الصناعة والتقنية، وهي فجوة تزداد بسبب ما تقطعه تلك الدول من أشواط ومسافات وإبداعات واختراعات في مجالات العلم المختلفة على حين أننا لا ننجز في هذه الجوانب إلا أقل القليل، ولعل المسافة بيننا وبينهم تزداد اتساعًا.

وتقتضينا الأمانة والواقعية أن نشير إلى أن فريقًا كبيرًا من العاملين في البحث العلمي والجامعات يقفون موقف المعارضة إزاء ما جرى من حديث عن التعريب، وهم يواجهون هذه الدعوة بقوة وصراحة يحسدون عليها، وهم يرون أن هذا التحول سيعيدنا إلى الوراء قرونًا وليس فقط عشرات من السنين، ثم إنه سيقطع الصلة بيننا وبين التقدم العلمي العالمي الذي يسير بخطى حثيثة تتسابق فيها الدول المتقدمة إلى تحقيق التفوق والصدارة فيها.

غير أن الحديث عن العوائق والتحديات – مع أهمية وضرورة أخذه في الاعتبار– لا ينبغي أن يضعف العزائم أو أن يفتَّ في عضدنا أو أن يوقعنا في اليأس والإحباط، ولْنتذكر بعض الشواهد والتجارب من تاريخنا القديم، فقد خاضت الدولة الإسلامية في عصورها الأولى تجربة الترجمة لتراث الأمم السابقة كالهند وفارس واليونان واللغات السوريانية واللاتينية وغيرها، وقد كان كثير من هذا التراث ذا صبغة علمية، تتضمن معارف من الطب والفلك

والكيمياء والرياضيات والطبيعيات. ولم يقف علماؤنا موقف الحيرة والعجز إزاء هذا التراث، بل إنهم واجهوه مواجهة جادة، تستند إلى روح علمية منهجية اكتسبوها من البيئة الإسلامية التي غرس الإسلام فيها العناية بالنظر في الكون واكتناه أسراره، ولذلك لم يمْضِ إلا وقت قليل بعد الترجمة أفصحت بعده العقلية الإسلامية عن خصائصها وأبرزت كثيرًا من جوانب الأصالة فيها، فلم يكتف هؤلاء بالمعرفة الدقيقة لمعارف السابقين؛ بل إنهم بدأوا يضيفون إلى ما عرفوه عنهم معارف جديدة، ظهرت في مؤلفاتهم، وفي التجارب التطبيقية التي أكملوا بها ما لم يرد في معارف السابقين، وصححوا ما وقعوا فيه من أخطاء؛ وبدأ هذا الجانب في الظهور منذ وقت مبكر شهده عصر الخليفة المنصور الذي أمر بترجمة بعض الكتب الهندية في الفلك سنة ست وخمسين ومائة، ثم أمر بأن يؤلف كتاب مثله تتخذه العرب أصلًا في حركات الكواكب، ثم جاء الخليفة المأمون (٢١٨هـ) الذي أمر محمد بن موسى الخوارزمي أن يختصر هذا الكتاب، ثم ألف كتابًا مزج فيه بين علوم الهند وعلوم اليونان، واخترع فيه من أنواع التقريب أمورًا حسنة فاستحسنه أهل ذلك الزمان[١] وقدم العلماء العرب المسلمون ابتكارات عربية في الرياضيات والفلك، وكان أهمُّها -كما قال سارتون-: علم الحساب الجديد، وعلم المثلثات الجديد[٢]، ثم إنهم صححوا بعض آراء السابقين في بعض العلوم، ثم نظروا في التراث المترجم نظرة نقدية، ويمكن الإشارة هنا إلى ما كتبه أبو بكر الرازي في كتابه الشكوك على جالينوس (في الطب) وما كتبه

---

(١) انظر مثلاً: نماذج لذلك في طبقات الأمم لصاعد الأندلسي، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ص٤٧ وما بعده، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار- لبنان د.ت ص١٧٧، ١٧٨.
وانظر سيديو: تاريخ العرب العام ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط٢/ ١٩٦٩، ص٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٢، وقصة الحضارة لديورانت، مجلد ٤/٢/١٨٢.

(٢) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط. لسارتون ترجمة د.عمر فروخ، نشر مكتبة المعارف في بيروت، ط١/ ١٩٥٢، ص٥٥.

الحسن بن الهيثم عن الشكوك على بطليموس في الفلك والطبيعيات، وما كتبه عبداللطيف البغدادي نقدًا لبعض آراء جالينوس في الطب، والكلام في هذا يطول، وقد اعترف به المنصفون من مؤرخي العلم الأوروبيين، ويكفي أن نشير هنا إلى ما قاله سيديُّو في كتابه: تاريخ العرب العام: "وأينما تولوا فَثَمَّ العرب يسبقوننا بإبداعاتهم النافعة، وبالصناعة المتقنة للحضارة المتقدمة، فإذا ما كنا قد أخذنا عنهم الجبر والهندسة وعلوم الطبيعة وعلوم الحركة (الميكانيكا أو علم الحيل)، وإذا ما كُنَّا ندين لهم بالأرقام والنظام العشري والبوصلة والبارود والكحول، فليس هناك ما يثير الدهشة عندما نرى المدارس والمجامع والعلاقات في الرياضيات التي صنعت أمجاد العصور الحديثة. ثم إن العرب لم يقتصروا على حماية الكنوز المعرفية التي تحصلوا عليها فحسب، وإنما قاموا بتنميتها، وفتح آفاق لدراسة الطبيعة[1]. ولم يكن هؤلاء الذين تعلموا على كتب السابقين المترجمة مرددين لأقوالهم، أو واقفين عند حدود ما تعلموه منهم؛ بل إنه كان لهم من الأصالة والرغبة في إثبات الذات الحضارية والأصالة العلمية ما جعلهم منافسين لهؤلاء السابقين، **بالهمة والإرادة والصبر على لأواء العلم**، وما يقتضيه من صبر وتحمل. وحريٌّ بعلمائنا المعاصرين أن يسلكوا سبيل هؤلاء، وأن يتصفوا بصفاتهم، ولا سيما أنه أصبح لديهم من الإمكانات العلمية والتقنية والانفتاح على العلم العالمي ما

---

(١) انظر: تاريخ العرب العام، ص ٣٣٠-٣٩٠. وقد تحدث في نحو ستين صفحة عن منجزات الحضارة العربية وإبداعاتها. ويمكن تتبع إنجازات هؤلاء العلماء وإبداعاتهم لدى هوارد تيرنر في كتابه العلوم عند المسلمين، وزيجريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ودور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، د. عبد الرحمن بدوي، وتاريخ الطب العربي لمؤلفه لوسيان ليكليرك المترجم عن اللغة الفرنسية، وانظر مقدمته العلمية لكاتب هذه الصفحات، وترجمة د. أسامة خليل، إلى كتب كثيرة أخرى تحدثت عن رياضيات الكندي، وفلسفة الفارابي، وقانون ابن سينا، والإسهامات الطبية لابن رشد، والحادي لأبي بكر الرازي، وجراحات الزهراوي، وغير هؤلاء في علوم مختلفة.

يمكِّنهم من ملاحقة الركْب واختصار الزمن، والعمل الجماعي الذي يثبت لأمتهم ما أثبته القدامى من أصالة وإبداع وتأثير في مسار العلم العالمي.

ولم تكن هذه الهمة مقصورة على العلماء في مجالات الرياضيات والفلك والطبيعيات والطب وغيرها؛ بل إننا نجد نماذج فائقة في مجال علوم اللغة بفروعها المختلفة، ويمكن الإشارة –هنا– إلى ما كتبه ابن منظور في مقدمة معجمه: لسان العرب وقد ذكر فيها أنه رجع في إعداد معجمه إلى بعض كتب اللغة المهمة؛ ومنها تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده الأندلسي، ثم ضمَّ إليهما ما كتبهُ الجوهري في مختصره، وما استدركه عليه أبو محمد بن بَرِّي، ثم أضاف إلى ذلك كله جليل الأخيار وجميل الآثار، وحلَّاه بما جعله فيه من آيات الذكر الحكيم ومن الأخبار والأمثال والأشعار، وما جمعه ابن الأثير الجزري في النهاية وقد استعان بهذه الكتب متجنِّبًا ما أخذه عليها من مآخذ مضيفاً إليها ما توصل بجهده من المزايا والفضائل، من جَمْع ما تفرق ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، ومن البسط في القول، دون اكتفاء بالقليل اليسير. ثم كشف عن الغاية النبيلة التي قصدها بتأليف معجمه هذا قائلًا: "فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية... **وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يُعَدُّ لحنًا مردودًا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية. فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهْلُه بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنع نوح الفُلْك وقومُهُ منه يسخرون**"(١)، ولكن الرجل ذا الهمَّة القوية والعزيمة الماضية لم يستسلم لما شاع في عصره من هجر للغة ومقاومة لها، وعدوان عليها، ونفور من أهلها فكتب الله لكتابه هذا الذيوع والانتشار مكافأة من الله له على صلاح نيته وطهارة مقصده في نصرة اللغة النبوية الشريفة. وما

---

(١) انظر: مقدمة لسان العرب، طبع دار المعارف، مصر، ١/١١-١٣.

أشبه الليلة بالبارحة، بل لقد صار أمر العربية في موقع أشد عسرًا، وأصبح خصومها أشد ضراوة، وأكثر جمعًا، ولذلك كانت حاجتنا أشد وأقوى إلى مضاء العزيمة، ووحدة الوجهة، واجتماع الكلمة. حتى تستعيد اللغة العربية مكانتها بين أهلها، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى التي يحرض أصحابها عليها. وليس ابن منظور هو – وحده– المتفرِّد بتحصيل الكتب والمصادر والمراجع؛ بل إن ذلك كان دأب أصحاب المعاجم من علمائنا القدامى، الذين كانوا يحتشدون لجمع مواد كتبهم من عشرات من الكتب في فنون اللغة المختلفة وغيرها من كتب التفسير والحديث والأشعار والأمثال وشروح الشعر والقراءات، وكتب أعلام الأدب كالجاحظ وأبي عبيدة معمر بن المثنى وكتب أبي حنيفة الدينوري، وأبي عبيد القاسم بن سلام والزمخشري، وكتب أيام العرب، وكتب الأخفش وابن الأعرابي، وعشرات من المؤلفين الذين كتبوا عن أسامي خيل العرب وسيوفها وبقاعها وأصقاعها وأيامها وأسماء البلدان، وألقاب الشعراء، والكتب المؤلفة في النبات والأشجار وغير ذلك من الكتب التي قرأها هؤلاء العلماء مخطوطة لا مطبوعة، وبذلوا في قراءتها واستخلاص مادتهم العلمية منها ما لايعلم قدره إلا الله تعالى(١)، واللغة بحاجة –مع دعم الحكومات والدول– إلى رجال مثل هؤلاء حتى يرتفع منارها وتتبوأ المكانة اللائقة بها.

والله وليّ التوفيق،،

---

(١) انظر مثلاً: ما أورده الأستاذ عبدالستار فراج في مقدمته لكتاب تاج العروس للزبيدي طبع الكويت ١٩٦٥ عن مصادر الزبيدي في تاريخ تاج العروس عن المحكم لابن سيده، وكتاب العباب للصاغاني ١/ب، ج، د، وهي كتب تعد بالمئات، وما كتبه الزبيدي نفسه عن الكتب التي استعان بها في كتابه ١/ ٥–٩ وقد قال في آخر ما ذكره منها "وغير ذلك من الكتب والأجزاء في الفنون المختلفة مما يطول على الناظر استقصاؤها، ويصعب على العادِّ إحصاؤها، ١/٩.

المناقشات والتعليقات:

الأستاذة الدكتورة سرى سبع العيش:

تكلمت وقلت "أضعكم في سويداء القلب"، نحن نقول في الشعر أضعكم في سويداء العين، هل القلب أسود!!؟؟.

رد الأستاذ الدكتور مدكور:

هذه كلمة متعارفة لدينا، وإنما هي تعبير مجازي.

من مشكلات الترجمة إلى اللغة العربية

الأستاذ الدكتور محمد عصفور

مجمع اللغة العربية الأردني

يبدأ الحديث عن الترجمة أحياناً بتكرار العبارة الإيطالية المشهورة القائلة (traduttore, traditore)، أي إن المترجم خائن، وأحياناً بالجدل الذي لا ينتهي حول كون الترجمة فنّاً أو علماً. والسبب دائماً هو أن ثمة فرقاً تتباين درجته من مترجم إلى آخر بين النصّ الأصلي والنصّ المترجم. فمن الواضح أن النصّ الأصلي كثيراً ما يفقد شيئاً من خصائصه في اللغة الأخرى إن لم يكن نصّاً إخبارياً خالصاً أي (informative) باللغة الإنكليزية.

ولنبدأ بعبارة "النصّ الإخباري" هذه لنرى ما وراءها. يهدف النصّ الإخباري عادة إلى نقل معلومات موضوعية لا تخضع للآراء والأهواء مثل:

- سافر المهندس أحمد إلى فرنسا للعلاج.
- يبدأ الماء بالغليان عند درجة ١٠٠ مئوية أو مائتين واثنتي عشرة ٢١٢ فهرنهايت.
- عقد مجلس الأمن جلسته الثانية لبحث النزاع الحدودي بين جمهورية س ومملكة ص.

هذه الجمل لا تشكّل صعوبات للمترجم في العادة لأن اللغات لا تعجز عن نقل المعلومات، ولو أن المترجم يضطرُّ أحياناً إلى ابتكار كلمات جديدة من داخل لغته، أو إلى استعارة كلمات من اللغة الأجنبية، أو إلى تكييف كلمات موجودة فيها للتعبير عن الأفكار الجديدة. فالجملة الخاصة بدرجة غليان الماء تشير إلى هذه الدرجة بنظامين: المئوي والفَهرنهايتي. كلمة "الفَهرنهايتي" مستوردة طبعاً لأنها لا بديل لها في اللغة العربية، واستيراد المصطلحات أمرٌ شائع في اللغات كلها. أما كلمة "المئوي" فهي كلمة عربية

تماماً من حيث الاشتقاق ولو أنها كانت نادرة الاستعمال في اللغة العربية السابقة لعصرنا هذا. ولكن هذه الكلمة في واقع الأمر ترجمة حرفية موفَّقة لكلمة أجنبية هي (centigrade) المكوّنة من جزأين هما: (cent) أي مائة، و(grade) أي درجة. وأنا أذكر هذه المعلومة المعروفة للقول إن كلمة "مئوى" مثال على تكييف كلمة في اللغة لاستيعاب معنى جديدٍ نسبيّاً يَنسِب درجات الحرارة إلى نظام معيّن لتمييزه عن نظام آخر. وقد يكون من المفيد في هذا السياق أن أذكر أن الإشارة إلى درجات الحرارة وفق هذا النظام المئوى ما عاد يطلق عليه نظام الــ (centigrade) باللغة الإنكليزية بل نظام (Celsius) إشارة إلى اسم مبتكره العالم السويدي أندَرْس سِلْسْيُس (١٧٠١-١٧٤٤). غير أن اللغة العربية حافظت لحدّ الآن على كلمة "مئوي" ولم تستورد كلمة "سِلْسْيُس" بعد لغرابتها وعدم الحاجة إليها . ومن أمثلة التعديل الذي يجري في اللغة القومية بتأثير اللغات الأخرى ما جرى لكلمة "القرن" التي استقرّ معناها في الوقت الحاضر في سياق الوحدات الزمنية على مائة عام لأن القرن في اللغات الأوروبية مشتقٌّ من كلمة لاتينية هي كِنْتُم (centum) أي مائة، بينما كانت كلمة "القرن" العربية تعني وفق ما يذكره **لسان العرب** "عشر سنين، وقيل: عشرون سنة، وقيل: ثلاثون، وقيل: ستّون، وقيل: سبعون، وقيل ثمانون وهو مقدار التوسُّط في أعمار أهل الزمان" حسبما يدَّعي **اللسان**. والقصد من هذين المثالين أن أبيِّن أن النصوص الإخبارية قابلة للنقل دون خسارة إذا ما عرف المترجم المصطلحات الصحيحة بلغته، وأن العُرف يسمح له باستيراد الكلمات التي لا وجود لها بلغته دون تعديل، أو بتعديل طفيف يقتضيه النظام الصوتي والبنيوي بلغته القومية. ولنأخذ كلمة "بلغم" على سبيل المثال. هذه الكلمة تعرَّبت إلى درجة

يصعب معها أن يخطر في ذهن العربي العادي أنها كلمة مستعارة من كلمة يونانية أصلها (phlegein) بمعنى "يحترق" أو "يشتعل"، وهي كلمة تحوَّلت إلى كلمة (phlegm) وتحوّلت في العربية إلى كلمة "بلغم" التي يعرّفها القاموس بأنها خِلْطٌ من أخْلاطِ البَدَنِ، وهو تعريف يُدْخِلُ مصطلحاً آخر هو "الخِلْط"، المقابل العربي لكلمة (humor) التي أعطتنا كلمة "مزاج" التي ترد في التعريف الآتي لعبارة "مزاج بَلْغَمي": "أحدُ الأمزجةِ الأربعةِ في الطِّبّ القديم يتغلَّب فيه البلغمُ على غيره في البدن وهو خلاف المزاج الدمويّ، يتّسم صاحبه بضعف النَّبض وصفرة الوجه" **(معجم المعاني)**. ولمن شاء استقصاء تحوّلات كلمة (humor) من أصلها اليوناني إلى صيغتها الحالية في اللغة الإنكليزية أن يراجع الاستعراض التاريخي لها في هذا الموقع: https://www.thefreedictionary.com/humor هذا العرض السريع لأصل كلمة "بلغم" يشير إلى أن المترجمين القدماء للطبِّ اليوناني مارسوا ترجمة المصطلحات بشقّيها: الاستيراد واستعمال مصادر اللغة القومية. فقد استوردوا كلمة "بلغم" مع تعديلات تناسب أصوات اللغة العربية، ولكنهم كيّفوا فعلي الخلط والمزج ليدلا على فحوى النظرية القديمة القائلة إن الصحَّةَ نِتاج النسب الصحيحة من السوائل الموجودة في الجسم، وأن الاعتلالَ نتاجُ خَلَلٍ في هذه النسب، ولذلك كانوا يوصون بفصد الدم إذا زادت نسبته عن النسبة الصحيحة، وبالكيّ لإخراج القيح، وبالمسهِّلات لإخراج السوائل الزائدة عن الحاجة من البطن والأمعاء.

نأتي الآن إلى النصوص غير الإخبارية، وهذه تشمل من بين ما تشمله المعتقداتِ الدينيَّةَ، والمواقفَ السياسية، والعاداتَ الاجتماعيةَ، والآراءَ الفلسفيةَ، والنصوصَ الأدبيةَ، والموروثاتِ الثقافية – وباختصار: تشمل كلَّ ما

يهمّ البشر خارج العلوم الطبيعية والوقائع اليومية. وهذه السلسلة من الحقول المعرفية هي المجالات التي تقع فيها خيانات المترجمين إن شئنا العودة إلى العبارة الإيطالية الشهيرة، أو تقع فيها أخطاؤهم إن شئنا التخفيف من تهمة الخيانة.

لا يسمح المجال للتمثيل على مشكلات الترجمة في هذه الحقول جميعاً، ولذلك فإنني سأكتفي بعدد محدود من الأمثلة أبدأها بترجمةٍ للسونيتة الثامنةَ عشرةَ من سونيتات شيكسبير لأن ثلاثَ ترجمات لها نُشرت مؤخَّراً في العدد الأوّل من مجلة **البيان العربي** التي نرجو لها الدوام، إحداها لي، والثانية للدكتورة فطينة النائب، والثالثة للزميل الدكتور جعفر عبابنة.

ميَّز رئيسُ هيئة التحرير معالي الأستاذ الدكتور عيد الدحيّات في تقديمه للترجمات الثلاث بين طريقتين في الترجمة: "الترجمة الحرفية التي تُعنى بنقل معاني المفردات حسبُ. أما الطريقة الثانية فهي نقلُ المعاني والأساليبِ وروحِ النصوص المرادِ ترجمتُها". وأحسب أن الترجمة الحرفية تنطبق على النصوص العلمية أو ما دعوتُه بالنصوص الإخبارية. أما الترجمة التي تُعنى بروح النصوص فنراها أكثر ما نراها في الترجمة الشعرية التي تسعى لأن تكون -بعبارة الدكتور الدحيات- "ترجمةً لأسلوب الشاعر أو الكاتب، وروحيتِه وطلاوتِه، وموسيقاه، وما تختزن عباراتُه من ظلال المعاني المستترة ولطائفِ اللغة وجماليّاتِها."

ثمَّةَ في حالتنا الراهنة قصيدةٌ لشاعر مشهور أَعجَبتْ عدداً من الشعراء والمترجمين في العالم العربي أعرف منهم ستة أو سبعة على الأقلّ.[١]

---

١. جبرا إبراهيم جبرا، فطينة النائب، بدر توفيق، عبد الصاحب مهدي علي، شهاب غانم، محمد عناني، جعفر عبابنة، محمد عصفور

فجاؤوا بترجماتٍ مختلفةٍ بقيت القصيدة مركزَها المرجعيَّ، واختلفت في شيئين مهمّين هما محتوى القصيدة الذي أراد شيكسبير قوله، والتعبير عن هذا المحتوى باللغة العربية دون الإخلال بذلك المحتوى. أما المحتوى فهو أمرٌ قد لا يعرفه غيرُ المتخصّصين في الأدب الإنكليزي ممن درسوا شيكسبير وعرفوا الخلفية الكامنة وراء عدد كبير من السونيتات المائة والأربع والخمسين التي نُشرت في سنة ١٦٠٩، وكان بعضها متداولاً منذ سنة ١٥٩٨ مكتوباً بخطّ اليد. أقول باختصار إن عدداً كبيراً من السونيتات كُتب بناء على طلب أهل اللورد ساوثهامبتن من شيكسبير أن يقنع صديقه اللورد الشاب بأن يتزوّج حفاظاً على السُّلالة ولقب النَّبالة.[١] فما كان من شيكسبير إلا أن شرع في الكتابة لتحقيق هذا الهدف، ولعلَّ أصرح سونيتة من السلسلة في هذا السياق السونيتةُ الأولى حيث يقول:

From fairest creatures we desire increase
That thereby beauty's rose might never die…

أي نريد المزيد من أجمل المخلوقات لكي لا تموت زهرة الجمال، بمعنى أن على اللورد أن يتزوّج ليخلِّف ذُرّية تضمن بقاء الجمال الذي يتمثَّل فيه. أما الدكتورة فطينة النائب والدكتور جعفر عبابنة فقد افترضا أن المخاطَب في السونيتة الثامنةَ عشرةَ أنثى، فعنونت الدكتورة فطينة قصيدتها بعبارة "إلى حبيبته"، ولم يضع الدكتور عبابنه عنواناً لترجمته النثرية بل جعل خطاب الأنثى جزءاً من أسلوب الخطاب في النصّ نفسه. ولربما كان السببُ المباشر في هذا الخطأ أن اللغة الإنكليزية لا تفرّق في أسلوب الخطاب (أو أفعال

1. See Edward Hubler, *Shakespeare's Songs and Poems* (New York: McGraw Hill, 1959), pp. xxxix-xl.

الأمر) بين الذكر والأنثى، وأن لغة السونيتة –في غياب الدلائل الخارجيـــة– يمكن أن تُقرأ كما لو أنها قصيدةٌ غزلية.

هل نعدُّ ما فعلته الدكتورة فطينة والدكتور جعفر خيانةً للـــنصّ؟ يعتمـــد الجواب على ما أراد كلٌّ منهما أن يحقّقه. إن كان هدف الدكتورة فطينـــة أن تثبت قدرتها على نظم الشعر بالاستفادة من أفكارٍ وصورٍ وردت في سونيتة شيكسبير فقد نجحت في كتابة قصيدة باللغة العربية تشبه قصيدة شيكسبير مع أننا قد لا نعدُّها من عيون الشعر العربي. ونحن في العادة نقرأ قصيدة كهــذه دون مقارنة الترجمة مع النصّ الأصلي لأن ذلك سيفســد الشــعر ويظهــر العيوب. وعندما قرأتُ أنا قصيدة الدكتورة فطينة لأغراض هذه المحاضـــرة فإنني وجدت الكثير من عيوب الترجمة التي سأعفيكم مـــن ذكرهـــا لضـــيق الوقت.

أما الدكتور جعفر فقد ترجم القصيدة نثراً، قاصداً فيما يبـــدو أن تكـــون الترجمة أمينة إلى أبعد الحدود. أما الخطأ في تحويل الخطاب من المذكَّر إلى المؤنَّث فلن يهمَّ من القرّاء إلا أولئك المتخصّصين الذي يفسدون كـــلّ شـــيء بالتنقيب عن دقائق تظلُّ أهميتها موضع خلاف. لكن يبقى السؤال قائما: هـــل يُنصح بتحويل الشعر إلى نثر في قصائد قصيرة مثل سونيتات شيكسبير؟ ماذا يبقى من القصيدة الغنائية عندما تُنثر بكلمات لغة أخرى؟ أنا شخصيّاً ترجمتُ عددا لا بأس به من القصائد شعراً منها ثلاث سونيتات لشيكسبير. ومـــع أن المادّة الأساسية لهذه القصائد الثلاث هي قصائد شيكسبير فإنني أرغب في أن تُقرأ ترجماتي على أنها قصائد لمحمد عصفور. وسأترك موضـــوع درجـــة الخيانة التي ارتكبتُها في ترجمتي الشعرية للسونيتة الثامنة عشرة لمن يهمُّـــه الأمر.

المثال الثاني الذي أريد أن أذكره مستمدٌّ من كتاب عن تـــاريخ البحـــر الأبيض المتوسِّط عنوانه باللغة الإنكليزية

The Great Sea: A Human History of the Mediterranean By David Abulafia

وباللغة العربية: **البحر الكبير: في التاريخ البشري للمتوسِّــط**، تـــأليف داوود أبو العافية، ترجمة معز مديوني.

لا تهمُّني هنـــا دقَّة ترجمـــــة العنوان، بــــل يهمني اســـــم المؤلِّـــف (David Abulafia) الذي عرّبه المترجم وجعله داوود أبو العافيـــة – داوود بواوين للتأكيد على أنه عربي أصيل. ولا أدري إن كانت إعادة الاسم الأول من اسم بن غوريون إلى داوود ستجعله عربياً هو الآخر. ولا أدري إن كان ما فعله السيد معزّ مديوني قد فعله بحسن نية أم بسوء نيَّة. فالدلائل كلُّها فـــي الكتاب تشير إلى أن المؤلِّف الذي يعمل في جامعة كيمبرج يهـــودي. وهـــو يعطي بعض صيغ الاسم الذي عُرف به أجداده، ولا علاقة لهـــا بالعافيـــة أو بأبيها. ويقول إن أجداده ربما هاجروا من قشتالة بعد سقوط الدولة الإسلامية هناك.[١] لا بل إن عنوان الكتاب مستمدّ "من الاسم العبري للمتوسِّــط الـــذي ورد في إطار صلاة بركة نوردها [فيما يقول المؤلِّف] ونحن نصوِّب نظرنـــا نحوه: "مبارك أنت أيها الرب، أيها الرب الإله، ملك الكون، يا من صـــنعت البحر الكبير". هنا لا نملك إلا أن نتَّهِم المترجم بالخيانة بالمعنى الذي قصـــده الإيطاليون في عبارتهم الشهيرة، سواء أكانت مقصودة أم غير مقصودة. ومن

---

١. انظر الفقرة الأخيرة من ص ٢٣.

الأسلم لنا وللمترجم أن ننسب هذه الخيانة (أو قل: الخطأ) للجهل. فعلائم الجهل كثيرة في ترجمة الكتاب، منها مثلاً: قراءة عجيبة لاسمٍ واضح هو أدهم الدين وجعله "إيذام إلدن" (ص ٢٢)، وإطلاقه لقب الجلالة على المبعوث السامي البريطاني وعلى السفيرة المالطية في تونس (ص ٢٢). وعندما يتحدَّث النقّاد في هذه الأيام عن خيانة المترجم فإنهم يقصدون في الأغلب عيباً من عيوب الترجمة كعدم إتقان لغة النصّ الأصلي أو لغة النصّ الجديد، أو التسرُّع، أو الالتزام ببنية لغة النصّ على حساب البنية الطبيعية للغة المستهدفة. ولا بدَّ أنكم سمعتم بما يدعى لغة الصحافة أو الـ (journalese)، وقد اشتَقَقْتُ صفةً مشابهة لها هي (translationese) أو لغة التراجمة التي تحتاج إلى أن تُعاد لأصلها الأجنبي ليُفهم المقصود.

أما الآن فأنتقل إلى أمثلة من كتابٍ يجمع العلم إلى السياسة والحروب الخفيّة. عنوان الكتاب باللغة الإنكليزية هو (Dark Territory: The Secret History of Cyber War) وبالعربية **المنطقة المعتمة: التاريخ السرّي للحرب السيبرانية** من تأليف فْرِدْ كاپلان وترجمة لؤي عبد المجيد. وأوّل ما نلاحظه في هذا الكتاب أن عنوانه العربي استعار كلمة أجنبية ليست هي كلمة (Cyber) المستخدمة في العنوان الأصلي، بل من كلمة تكمن في خلفية الموضوع هي (cybernetics) التي أعطتنا كلمة السِّبرانية التي فضّل المترجم أن يضيف لها ياءً من عنده تفادياً لاستعمال الكسرة تحت السين، وهذه ظاهرة تحتاج إلى وقفة منفصلة، أقصد ظاهرة استعمال أحرف العلّة الطويلة للتعويض عن الحركات التي ما هي إلا أحرف علَّة قصيرة. واستعمال كلمة "سيبرانية" (بالياء بعد السين) أو "سِبرانية"

(بالكسرة تحت السين) مثالٌ على ظاهرة شائعة لدى المترجمين، وهي ظاهرة استسهال الاستيراد التي تشبه ظاهرة طلب الأطعمة الجاهزة عن طريق خدمة التوصيل بدلاً من طبخ الطعام في البيت. فلو كلَّف الدكتور لؤي عبد المجيد نفسه بالبحث قليلاً لوجد أن كلمة (Cyber) وكلمة (cybernetics) تعنيان نظامَ التحكُّم، سواءٌ أتحكَّم هذا النظام بالأحياء أم بالآلات. ولكن يبدو أن للكلمة الأجنبية سحرها. وأنا لست ضدّ استيراد الكلمات الأجنبية إذا لم يكن في اللغة العربية ما يُغني عنها، ولكنَّ الولع بالمصطلحات الأجنبية كثيراً ما يشي بالكسل الفكري الذي يجد أن من الأسهل استيراد المصطلح الأجنبي بدلاً من الاجتهاد رغم أن الخطأ في الاجتهاد لن يعدم جانبه الإيجابي، وهو استثارة الردّ بما هو أصحّ، هذا إلى جانب اكتساب حسنةٍ واحدةٍ بدل اثنتين لمجرَّد المحاولة. وسأتناول فيما يلي عدداً من الأخطاء ذات الطابع المتكرِّر عند الدكتور لؤي عبد المجيد وغيره.

- يعطي المترجم بدائل للعبارات المترجمة: "ألعاب الحرب" (المناورات الحربية) (ص ١١): العبارة الأصلية هي (war games) ومعناها "المناورات الحربية"، أما عبارة "ألعاب الحرب" فترجمة حرفية للعبارة الإنكليزية. ومع أنها ليست خطأ من حيث المعنى الحرفي فإنها خطأ من حيث مستوى الخطاب، أو ما يدعى (register) باللغة الإنكليزية. فاللغة الإنكليزية، لا سيّما تلك المستعملة في الولايات المتَّحدة، تميل إلى استخدام اللغة غير الرسمية. المقابل الرسمي لعبارة (war games هي military exercises) أي التمارين التي نعرفها نحن "بالمناورات العسكرية" رغم أن كلمة "المناورات" مستوردة من كلمة (maneuvers) وقد بلغ تأثُّرنا نحن بأسلوب الأمريكان في استخدام التعبيرات غير الرسمية أن عبارة "اللعبة" شاعت في لغة المعلِّقين السياسيين

المتأثِّرين بالمعلِّقين الأمريكيين، وأخذنا نتحدَّث دون حرج عن أن الوزير الفلاني "خارج اللعبة" أو أن الدولة الفلانية ستدخل في "لعبة" التحالفات الإقليمية.

- استيراد المختصر الإنكليزي لعبارة (North American Aerospace Defense Command) بصيغة "نوراد" بينما المختصر العربي لترجمة هذه العبارة يتكوَّن من (ق د ف ج أ ش)، وهي الأحرف الأولى من "قيادة دفاع الفضاء الجوّي لأمريكا الشمالية." وقد شاعت هذه الظاهرة كثيراً في نشرات الأخبار والصحف، حيث نسمع أو نقرأ عن حلف الناتو، وعن ناسا، واليونسكو، والأنروا التي لا تعكس أوائل أحرف الكلمات المقابلة في العبارات العربية. ومن غرائب الأمور أن جامعة الدول العربية استوردت المقابل الأجنبي لاسم إحدى منظماتها لتتمكّن من ابتكار مختصر كهذا هو"الألكسو". اسم المنظمة هو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والأحرف الأولى منها لا تعطينا ما يمكن أن يشكِّل كلمة تلفظ معاً، بينما يمكن أن تلفظ الأحرف الأولى من المقابل الإنكليزي لاسم المنظمة وهو (Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization)، وهو اسم أضيفت له كلمة League ليصبح اللفظ ممكناً، بينما لا يرد مقابل لهذه الكلمة في الاسم العربي للمنظَّمة.

- وسأكتفي بالمثال الآتي من ترجمة الدكتور لؤي عبدالمجيد لما فيه من خيانة للنصّ سببها التسرُّع وعدم تحكيم الحاسَّة النقدية في النصّ الناتج عن هذا التسرُّع. النصّ الناتج عن هذا التسرُّع هو الآتي: "كانت تلك الكيانات جميعاً تتغذى من مراكز شعوذة ما وراء السرّي جدّاً نفسها" [beyond-top-secret wizardry]: هذه ترجمة كان على عقل زميلنا

المترجم الدكتور لؤي عبدالمجيد أن يرفضها رفضاً باتّاً وأن يسأل زمــلاءه عما يمكن أن تعنيه العبارة إن أعْيَتْهُ الحيلة هو نفسه. هذا ما كان سيجده في أحد القواميس تفسيراً لكلمة wizardry التي ضلَّلته لأنها تدلُّ على الشــعوذة في سياق آخر:

a. A power or effect that appears magical by its capacity to transform: *computer wizardry*.

---

b. Great ability or adroitness in a pursuit: a pianist gifted with technical wizardry.

https://www.thefreedictionary.com/wizardry

ومن الواضح من هذين الشرحين أن الكلمة في سياق غير سياق الشعوذة تدلّ على المهارة الفائقة – في استعمال الحاسوب أو في العزف على البيانو، أو في حلّ المسائل الرياضية المعقَّدة على سبيل المثال.

والكتاب الثالث الذي أودُّ استعمال أمثلة منه هو **من العالم المغلــق إلــى الكون اللامتناهي** تأليف الكسندر كُويْريه، ترجمة يوسف بن عثمان، مراجعة محمد بن ساسي، (From the Closed World to the Infinite Universe) تأليف (Alexandre Koyré) وهو كتاب يبحث في الفلسفة وعلم الكونيّــات. وفيه نلاحظ أن الترجمة خضعت لمراجعة شخص ثانٍ غير المترجم، ولذا فإن مسؤولية الخيانة (إن كان هنالك شيء منها) تقع علــى شخصــين. ولأبــدأ بملاحظة سريعة عن كلمة "لا" التي وردت في إحدى كلمات العنوان وأخذت تستخدم سابقة تركيبية تقليداً للــــ(prefix) الإنكليــزي (non-) أو (un-)،

استخداماً يؤثّر على بنية الكلمات العربية. فاللغة العربية تستخدم فيها "لا" مع الفعل لتنفِيَهُ، أو مع الاسم لتنفِيَ جنسه. وهي في الحالتين كلمة مستقلّة بذاتها. أما "لا" الجديدة فتندمج في الكلمة وتصبح جزءاً منها ولا تؤثِّر في إعرابها، وهي في كثير من الأحيان ليست سوى بديل مستورد لكلمة "غير" الطبيعية كما في كلمة "اللانهائي" في عنوان الكتاب، إذ لو قلنا "غير النهائي" لبقي المعنى هو هو. لكن "لا" هذه ليست جديدة كلّ الجدّة، فقد وردت في كلمة "اللاأدرية" وكلمة "اللافقاريات" وكلمات أخرى قليلة، لكن أكثر استعمالاتها الحديثة أقرب إلى الفذلكة منها إلى الحاجة الحقيقية.[١] سأتناول الآن عدداً قليلاً من مشكلات هذه الترجمة اختصاراً للوقت تحت عناوين مناسبة.

أوّلاً- التهجئة: ولا أقصد بها الإملاء، بل أقصد الطريقة غير المعتادة لكتابة كلمات معيّنة. يرد صوت الـ g كما في كلمة go في المقابل العربي لكلمة English. وليس في الأبجدية العربية حرف يرمز لهذا الصوت، ولذا فإن أشيع تهجئتين لهذا المقابل هما "إنكليزي" بالكاف أو "إنجليزي" بالجيم. أما تهجئتها بالقاف لتكون "إنقليزي" فلم أعهدها إلا في هذا الكتاب. ومن المعروف أن هنالك أربعة أحرف (أو خمسة) جديدة أضيفت إلى الأبجدية العربية لتمثيل الأصوات P (پ)، V (ڤ)، G (ڠ/گ)، CH (چ). أما القاف فبقيت رمزاً للصوت العربي المعروف. أما صوت الجيم العربي فيتحقّق بأشكال مختلفة حسب اللهجات: ڠ في الدارجة المصرية، ياء في الخليج، جيم مخفّفة

١. يورد **معجم المعاني** الكلمات الآتية: اللاأخلاقية، اللاأدب، اللاأنوثة، اللاإنسان، اللاإنسانية، اللاطائفية، اللافقاريات، اللامسؤولية، اللامعقول، اللاأدرية.

في لبنان (تشبه الصوت الذي يسمع في كلمة (measure)، والجيم العادية التي تشبه صوت الـ J في (Jordan). أما في الكتاب الذي نتحدَّث عنه فإن المترجم يضيف دالاً من عنده تسبق الجيم في بعض الأسماء لضمان أن يلفظ صوت الجيم كما يلفظ في Jordan. وهذا أمر مستغرب تماماً. هو يحدث في اللغة الإنكليزية في كلمات مثل (edge) و (judge) و (bridge) أما أن نكتب "دجونز" (بالدال) مقابل Johns أو "لوفدجوي" مقابل Lovejoy فهو من قبيل البِدَع التي تندرج تحت باب الضلالة. أنا أفهم أن المترجم يحرص فيما يبدو على الدقَّة في اللفظ، ولكن هذا الحرص على الدقّة في اللفظ يتعارض وميل المترجم إلى مطّ الحركات لتصبح أحرف علّة طويلة كما يفعل مع "هوبكينز" (Hopkins) حيث الصحيح هوبكنز (هوپكنز) و"لوفدجوي" حيث الصحيح لَفْجوي. أما إساءة لفظ الأسماء ("جانات" بدل "جانِت"، "فيلار" بدل "وِلَرد") فلا عذر لها.

ثانياً- الولع بالمصطلحات الأجنبية رغم وجود مقابلات عربية معتمدة:

مشكلة المصطلحات مشكلة دائمة في الثقافات كلها لأن ما يميِّز ثقافة عن أخرى وجود مصطلحات في إحداها غير موجودة في سواها، ولذلك فإما أن تلجأ الثقافة التي تسعى للترجمة إلى استيراد المصطلحات كما هي من الثقافة التي يراد الترجمة منها أو إلى محاولة إيجاد مرادفات قريبة من داخلها. والأمة العربية في الوقت الحاضر تمرُّ في حقبة من التاريخ تجد لزاماً عليها أن تستورد كمّاً هائلاً من المصطلحات عندما لا تجد مرادفات قريبة من داخلها للمصطلحات الأجنبية. والكتاب الذي بين أيدينا كتاب يجمع شيئاً من الفلسفة وشيئاً من العلم، وفيه من المصطلحات ما لا مندوحة من استيراده،

وفيه منها ما تملك اللغة العربية مقابلات معتمدة لها. من بين المصطلحات التي ترد في هذا الكتاب ويعطي المترجم اللفظ الفرنسي لها (المكتوب بالبنط الأسود الغليظ) رغم أنه يترجم عن الإنكليزية :

- إبستيمولوجيا: نظرية المعرفة.
- **البراديغم:** النموذج / الأنموذج – اللفظ في الإنكليزية **پارادِيْم.**
- الثيوريا: النظرية.
- البراكسيس: التطبيق العملي.
- **الكوسموس:** الكون – اللفظ في الإنكليزية **كوزموس.**
- **الكوسمولوجيا:** الكونيات – اللفظ في الإنكليزية **كوزمولوحي.**

وليس ثمة من داعٍ لاستيراد هذه الكلمات ما دامت ترجمتها ممكنة.

ثالثاً– أخطاء في الترجمة: وقع المترجم (والمراجع) في أخطاء في الترجمة لا نتوقّعها ممن يتصدّى لترجمة كتاب مثل هذا الكتاب أذكر منها الآتي:

- فبالكاد تفصل مائة سنة...(ص ٤٠): ليس في العربية اسم هو "الكاد". هذا اختراع مُحْدَث ترفضه اللغة العربية السليمة رغم شيوعه باللغة المحكية.

- ترجمة كتاب كوبرنيكوس بعنوان "في ثورات الأفلاك السماوية" غير صحيحة خدعت فيها كلمة (revolutionibus) مترجمَنا فظنَّ أنها تعني (revolutions) (ثورات) بينما هي تعني "دَوَران" من الفعل (revolve) (يدور).

- الحطّ التامّ من قيمة الوجود (ص ٤٤): هذه ترجمة تفسد المعنى. النص يتحدَّث عن فصل مفهوم القيمة عن الظواهر العلمية وليس الحطّ من قيمة الوجود. فقولنا إن القمر أصغر من الأرض تقرير لحقيقة علمية وليس لقيمة القمر نسبةً إلى قيمة الأرض. ولا فرق في القيمة العلمية بين دراسة الحديد ودراسة الذهب.

- ترجم الأستاذ يوسف بن عثمان عنوان كتاب نيقولا القوسي/الكوسي (On Learned Ignorance) بصيغة **في الجهل المعلوم**. وهي ترجمة غير صحيحة لأنها تخفي المقصود، وهو أن ادِّعاء الجهل وسيلة للمعرفة، وفيه إشارة إلى الطريقة السقراطية في ادِّعاء الجهل وطرح الأسئلة لاستخراج الأجوبة الصحيحة من محاوريه. وقد تكون عبارة **جهلُ العالِم** أقرب إلى الصحَّة.

- "ساحة الله العظيم..." (٨٣): هذه ترجمة غير صحيحة لأنها تهمل السياق. فالسياق يتحدَّث في الفقرة السابقة عن "قصر السعادة" الذي يسكن فيه ملك الكون. أي إن السياق لا يتحدَّث عن ساحة بل عن بلاط الملك الرباني.

رابعاً- الاشتقاقات المتعسِّفة:

- تحيين المراجع (ص٧): لم أفهم المقصود بكلمة "تحيين".

- الأدب الأبستيمولوجي: لا أعرف عن أدب من هذا النوع، لكن يبدو أن المترجم يترجم كلمة (literature) ترجمة حرفية، بينما تستعمل هذه الكلمة كثيراً في البحث العلمي لتدلّ على البحوث المنشورة حول

موضوع معيّن والتي قد يستعين بها الباحث. وترجمتها بكلمة الأدب أو الأدبيات خطأ يتكرر كثيراً. والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة في سياق البحث العلمي هي الكتابات أو البحوث المنشورة.

- "عضواني" مقابل (organistic): هل "عضواني" أفضل من "عضوي"؟

- الشكانية مقابل (skepticism): الأفضل أن يقال: مذهب الشكّ.

- ترييض الطبيعة (٤٥): أكاد أجزم بأن هذه العبارة لن يفهمها أحد في العالم العربي دون إعطاء أصلها الإنكليزي، لأنها تقوم على اشتقاقٍ متعسِّف لفعلٍ من مصطلح "الرياضيات". كلمة (mathematization) الموجودة في النص مشتقة من الفعل (mathematize)، ولم أسمع بعد بقانون صدر في أيٍّ من البلاد العربية يفرض على المترجم أن يبتكر كلمة واحدة مقابل الكلمة الواحدة في اللغة الأصلية. ولو قلنا: "إخضاع الطبيعة لعلم الرياضيّات" لما خلقنا مشكلة للقارئ بفذلكة تشبه فذلكة كمال أبو ديب الذي ترجم (foregrounding) بالتأريض الأمامي!

- ومن هذا كثير.

والآن: هل الترجمة فنّ؟ سيُسعِد المترجمَ أن يوصَفَ بأنه فنّان، ولكنه سيظل يشعر بأن جهوده المضنية في مصارعة الكلمات والجُمل، وضرورة العودة إلى أنواع القواميس ليتبيّن الفرق بين هذه الكلمة وتلك، وليتأكّد من هذه المعلومة أو تلك لكي لا يقوِّل النصَّ الأصلي ما ليس فيه – أن هذه الجهود أبعدُ ما تكون عن الفن. كذلك فإن المترجم مهدَّدٌ باستمرار بأن يُتَّهم بالخيانة

لأنه لا يبتكر ما يقول بل يحاول أن يقول ما يقولـــه شـــخص آخـــر دون أن يضيف إليه أو يحذف منه شيئاً، وكثيراً ما يفشل، كما قد يفهم من الملاحظات التي أبديتُها في ما سبق. لكن يبدو أن صفة الفن تأتي من محاولـــة بعـــض المترجمين أن يترجموا الشعر شعراً، وهذا شيءٌ مألوف في الغرب، ولا سيّما عند ترجمة الملاحم. فمن أشهر الترجمات تلك التي صـــنعها جـــورج چاپمن لملحمتي هوميروس وامتدحها جون كيتْس في ســـونيتة مشـــهورة عنوانهـــا (On First Looking into Chapman's Homer)، أي "عندما رأيت ترجمة چاپمن [لملحمتي] هوميروس للمرّة الأولى." وكذلك ترجمـــة **الإليـــاذة** التـــي صنعها ألكزاندر پوپ. وفي أدبنا العربي لدينا ترجمة سليمان البستاني لملحمة **الإلياذة**، وترجمة علي أحمد باكثير لمسرحية **روميو وجولييت**، وعـــدد مـــن الترجمات الشعرية لرباعيّات عمر الخيّام، وترجمة نازك الملائكـــة لقصـــيدة توماس غري (Elegy in a Country Churchyard). غير أن ترجمة أعمال شعرية كهذه شعراً ليست هي التي تعطي المترجم صفة الفنان. فهو فنّان قبل أن يترجم تلك القصائد لأنه شاعر أصلاً.

إن لم تكن الترجمة فنّاً، فهل هي علم؟ نقول لمن يرى أنها علمٌ: نعم، إنها قابلةٌ لأن تُدرَسَ وتُدرَّسَ مثل أيِّ ظاهرة طبيعية أو ثقافية، ولكن العالِم فيها لا يصبح مترجماً بالضرورة، مثلما أن ناقد الشعر لا يصبح شاعراً بالضرورة، ومثلما أن مدرِّس مادَّة التأليف الموسيقي في معهد الموسيقى لا يجب أن يكون مؤلِّفاً موسيقيّاً بالضرورة. ولقد دخلت دراسات الترجمة في العقود الأخيرة في مجال الدراسة الأكاديمية في بعض الجامعات العربية وجامعات كثيرة أخرى في العالَم، ولكن الشهادات التي تمنحها هـــذه الجامعـــات لا تعنـــي أن مـــن

يمارسون الترجمة من حملة هذه الشهادات قد تأهَّلوا حقّاً لممارسة هذه المهنة. كذلك فإن كبار المترجمين في العالَم على مرِّ العصور لم يدرسوا "علم" الترجمة، بل مارسوه لأسباب قد يعود بعضها لرغبتهم في الحصول على كسب مادِّيٍّ، وقد يعود بعضها لرغبتهم في نقل نصٍّ أعجبوا به لأهميته أو لجماله إلى لغتهم. وإذا اكتفينا بالنظر إلى أفضل المترجمين في عالمنا العربي من أمثال عادل زعيتر وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس ومحمد مصطفى بدوي وسامي الدروبي فإننا سنجد أنه ليس من بينهم من درس الترجمة دراسة أكاديمية، بل هم أتقنوها لأنّهم جمعوا لها من المعرفة العميقة باللغتين أو الثقافتين، ومن الولَع بالإتقان ما هو ضروريٌّ للإبداع في أيِّ عمل.

أنا أرى أن الترجمة مهارة يكتسبها المترجم بالدُّربةِ، والمثابرةِ، والثقافةِ الواسعةِ، والاستعدادِ الدائمِ للبحث الدؤوب، وإتقانِ لغتين على الأقلّ إتقاناً يجعله قادراً على إدراك المعاني وما يكمن خلفها من تلميحات وإحالات، ويكون مع ذلك مستعدّاً للتسليم بأنه ليست هنالك ترجمة نهائية، وأن كلّ ترجمة قابلة للتحسين إن أُعطيَ المترجمُ الوقتَ الكافي، والوسائلَ الضروريةَ لإعادة النظر. والنتيجة التي أخلص إليها من كلِّ ما تقدَّم هي أن اللغة العربية، شأنُها في ذلك شأنُ بقية لغات العالم، قادرةٌ على التعبير عن الأفكار كلِّها بكلمات أصيلة فيها أو بكلمات تستعيرها عند الحاجة من لغات أخرى. إن مشكلة الترجمة أو مشكلاتها لا توجد في اللغة بل في المترجمين الذين لا يبذلون الجهد الكافي لتحسين معرفتهم باللغات، ولتدريب أنفسهم على البحث والتنقيب. وليذكر المترجمُ أنه الوحيدُ من بين من ينشرون الكتب الذي لا يُغفَر

له أيٌّ خطأ يرتكبه، سواء في الإملاء، أو الإعراب، أو اختيـــار الألفـــاظ، أو تركيب الجمل، أو الربط بينها. هو واحدٌ والقرّاء كثيرون، وإن لم ينتبه إلـــى كلِّ كلمةٍ في مخطوطة كتابه فما أسرع التُّهم التي ستنهال عليه من كل جانب، والتي أشهرها (traduttore, traditore).

المصادر

- أبو العافية، داوود: **البحر الكبير: في التاريخ البشري للمتوسِّط.** ترجمة معزّ مديوني. بيروت– بغداد: منشورات الجمل، ٢٠١٨.
- كابلان، فْرِد: **المنطقة المعتمة: التاريخ السرّي للحرب السيبرانية.** الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠١٩.
- كويريه، ألكسندر: **من العالم المغلق إلى الكون اللامتناهي.** ترجمة يوسف بن عثمان، مراجعة محمد بن ساسي. تونس: معهد تونس للترجمة، ٢٠١٧م.

- Abulafia, David. *The Great Sea: A Human History of the Mediterranean*London: Penguin Books, 2014.
- Hubler, Edward. *Shakespeare's Songs and Poems*. New York: McGraw Hill, 1959.
- Kaplan, Fred. *Dark Territory: The Secret History of Cyber War*. New York: Simon and Schuster, 2016.
- Koyré, Alexandre. *From the Closed World: The Infinite Universe*. Baltimore: The Johns Hopkins Press.

البيـــان الختـــامي

وتوصيات الموسم الثقافي السابع والثلاثين

لمجمع اللغة العربية الأردني

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي السابع والثلاثين في رحابه، وقد بدأ افتتاح الموسم عند الساعة الرابعة من مساء يـوم الأربعـاء الموافق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٩م بتلاوة آي من الذكر الحكيم.

وقد تضمنت فعاليات الموسم احتفال المجمع باليوم العالمي للغة العربية (١٨ كانون الأول/ ديسمبر)، برعاية سمو ولي العهد، وبالتعاون مع مبـادرة (ض). وتضمن الاحتفال كلمة للأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمـع، وإطلاق تطبيق حاسوبي لامتحان الكفاية في اللغة العربية، والإعـلان عـن إنشاء حاضنة البحث والتطوير لحوسبة اللغـة العربيـة، وتسـليم الجـوائز والشهادات الخاصة بمسابقات المجمع لعام ٢٠١٩م.

وكرم المجمع العشرة الأوائل في امتحان الكفايـة فـي اللغـة العربيـة الحاصلين على أعلى العلامات على مستوى المملكة لعـام ٢٠١٩م بهـدايا عينية.

واشتمل الموسم على أربعة أبحاث، موزعة على أربع جلسات، ابتـدأت يـوم الأربعـاء الموافـق ٢٧ تشـرين الثـاني ٢٠١٩م، وانتهـت فـي ٢٢ كانون الثاني ٢٠٢٠م، كما هو مُبيّن في التفصيل الآتي:

الجلسة الأولى: الأربعاء الموافق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٩م

عقدت الجلسة عند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور علي محافظة عضو المجمع، وقُدّمَ في هذه الجلسة بحث عنوانه: "**اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ورهانات المستقبل**"، للأستاذ الدكتور الخضر عبدالباقي محمد، مدير المركز النيجيري للبحوث العربية.

الجلسة الثانية: الأربعاء الموافق ٤ كانون الأول ٢٠١٩م

عقدت عند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور محمد عصفور عضو المجمع، وقُدّم فيها بحث عنوانه: "**أي مستقبل للعربية في ضوء المفاضلة بين اللغات**"، للأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء، جامعة مؤتة.

الجلسة الثالثة: الأربعاء الموافق ١١ كانون الأول ٢٠١٩م

عقدت عند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور محمود السرطاوي، عضو المجمع، وقُدّم فيها بحث عنوانه: "**اللغة العربية والفرائض الغائبة**"، للأستاذ الدكتور عبدالحميد مدكور، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الجلسة الرابعة: الأربعاء الموافق ٢٢ كانون الثاني ٢٠٢٠م

عقدت عند الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم، برئاسة الأستاذ الدكتور موسى الناظر، عضو المجمع، وقُدّم فيها بحث عنوانه: "**من مشكلات الترجمة إلى اللغة العربية**"، للأستاذ الدكتور محمد عصفور، عضو مجمع اللغة العربية الأردني.

وخلُص المشاركون في الموسم إلى التوصيات الآتية:

١. التأكيد على أنّ مسؤولية الاهتمام باللغة العربية وحمايتها ليست وظيفة خاصة بهيئة دون أخرى في المجتمعات العربية، وإنَّما هي مهمة كلِّ هيئة في حدود طاقتها ومسؤولياتها، ويشمل ذلك الحكومات والبرلمانات والمجالس والمجامع وهيئات التعليم، فضلاً عن المبادرات الفردية التي قد تكون أساساً لأعمال إبداعية لا تقل قيمة عن عمل الهيئات والمؤسسات.

٢. ضرورة الانتباه للتحديات والمشكلات التي تواجه اللغة العربية، ولا سيما ضعف مشاعر الاعتزاز بهذه اللغة لدى الكثير من أبنائها، وتهميش دورها في الوظائف وسوق العمل.

٣. الاهتمام بترجمة العلوم من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، والتوصية لوزارات التعليم العالي والجامعات بأهمية تكليف كل أستاذ جامعي تَعَلَّم في بلد أجنبي بترجمة كتاب في تخصصه من لغة ذلك البلد، في مدة لا تزيد عن ثلاث سنوات من بدء عمله في الجامعة، مع ملاحظة أهمية الكتاب من جهة ودقة الترجمة من ناحية أخرى، ويكون إنجازه لهذه المهمة شرطاً في استمرار عمله في الجامعة.

٤. ممارسة كل الضغوط الممكنة لتعريب التعليم الجامعي، فضلاً عن التعليم العام، واعتبار ذلك فريضة ليست قابلة للمساومة.

٥. الإشادة بجهود بعض الدول العربية التي اتخذت تشريعات لحماية اللغة العربية والتمكين لها في مجالات التعليم والإعلام والحياة العامة، ولا سيما الأردن والعراق.

٦. وضع برامج تعاون مشترك بين الدول العربية في قضايا تعليم العربية والتعليم بها، لمعالجة المشكلات والتحديات التي تواجه اللغة العربية، ولا

سيما في مجالات الحوسبة، وتعليم العربية للناطقين بغيرها، وإنشاء مراكز تعليم العربية في البلدان غير العربية.

٧. محاربة روح اليأس والإحباط من حال اللغة العربية، فالأمة قد مرت سابقاً في ظروف كانت فيها العربية لا تقل سوءاً عن حالها اليوم، ومع ذلك استطاعت أن تصمد وتنتعش من جديد. والفرص المتاحة لهذا الانتعاش اليوم فرص كبيرة، ربما تفوق كلَّ ما كان متاحاً من قبل.

٨. التوصية بضرورة قيام السفارات العربية في الدول الأفريقية بالإسهام في دعم تعلم اللغة العربية وتعليمها، وتنظيم أيام عربية مشتركة بالتعاون بين السفارات والجامعات الإفريقية، لتشجيع الراغبين في الإنتاج الفكري والثقافي باللغة العربية.

٩. دعوة المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (ألكسو) والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) لتنظيم مناسبة سنوية للغة العربية في إحدى الدول الإفريقية كل عام، بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية (١٨ ديسمبر) تسمى – مثلاً– أسبوع اللغة العربية، تتضمن نشاطات وبرامج ومسابقات خاصة باللغة العربية. ويمكن أن تبدأ بفتح المجال للدول الأفريقية للتنافس في توفير متطلبات نجاح هذا النشاط في الأعوام القادمة، مثلاً تبدأ في ٢٠٢٠م "أسبوع اللغة العربية في نيجيريا" وفي ٢٠٢١م "أسبوع اللغة العربية في كينيا" وتساعد المنظمتان في تمويل هذا الأسبوع في كل سنة وتستضيفه إحدى الدول الأفريقية في كل سنة في جامعة من جامعاتها.

١٠. دعوة الجامعات العربية لاستضافة أساتذة اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعات أفريقية لقضاء عام التفرغ العلمي لمساعدتهم في تطوير كفاءاتهم في اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية.

١١. دعوة الدول العربية لتشجيع التبادل الثقافي مع الدول الأفريقية، بحيث يشمل هذه التبادل تنمية حضور اللغة العربية وتوفير تعلمها للراغبين من الطلبة الأفارقة سواءً عن طريق دعم برامج تدريسها في الدول الأفريقية أو توفير منح لدراستها في البلاد العربية.

١٢. تشجيع الاهتمام بالبعد الديني الإسلامي للغة العربية، التي تعد عند العرب لغة شريفة وعند المسلمين لغة مقدسة.

١٣. الاهتمام بمستقبل اللغة العربية في ظل إكراهات العولمة وأدواتها، وملاحظة الارتباط الوثيق بين حال اللغة العربية وحال الأمة العربية وحضورها الفاعل في ساحة العالم.

١٤. تنشيط الدراسات والبحوث التي تكشف عن سر استمرار اللغة العربية وامتدادها عبر الظروف القاهرة التي مرت به الأمة العربية في تاريخها، وما يمكن أن تفيد هذه البحوث في توجيه الجهود اللازمة لحماية اللغة العربية والنهوض بها.